مجلة البيان – العدد 26 ، شعبان 1410هـ / مارس 1990م

الافتتاحية

حوار الأقرباء أم البعداء ؟

دعا مركز دراسات الوحدة العربية إلى ندوة في القاهرة ما بين 25 - 27 أيلول/1989 وتحت عنوان (الحوار القومي - الديني) وقد حضر هذه الندوة عدد غير قليل من الكتاب القوميين الذين يرون الصلة ما بين العروبة والإسلام ، أو بدءوا بالتكلم عن الإسلام ودوره الحضاري ، كما حضرها القوميون العلمانيون وبعض الإسلاميين والمشايخ، وكانت الموضوعات تدور حول تطبيق الشريعة الإسلامية ، ومحاور الالتقاء والتفاهم بين العروبيين والإسلاميين، والأزمة التي تمر بها الأمة ودور المفكرين في هذه الظروف، وقد نشرت مجلة المستقبل العربي بعضاً من الأوراق التي قدمت للندوة، كما نشرت جريدة الشرق الأوسط اليومية ملخصاً ليوميات الندوة.

ولنا على هذه الندوة الملاحظات التالية:

1 - إن فكرة الحوار والتواصل، وسماع الأطراف من بعضها، والتعرف على الفكر الآخر ، شيء جيد ولا غبار عليه بشرط أن يكون الرائد إلى ذلك هو التوصل إلى الحق وليس الترف الفكري. وجميل أن يتراجع الناصريون والقوميون ويعترفوا بقصورهم السابق في دراستهم للإسلام ، وأن التيار القومي عندما حكم أبعد الإسلام وبطش بدعاته ، ونرجو أن تتوضح الصورة أكثر في المستقبل ويعترفوا بأن عبد الناصر أساء للعروبة والإسلام.

2 - من الواضح أن كثيراً ممن شاركوا في هذه الندوة كانوا يطرحون حلولاً توفيقية وسطية ما بين الإسلام والقومية العلمانية ، وكأن لسان حالهم يقول : قربوا خطوة ونقرب أخرى ، حتى نلتقي في منتصف الطريق ، فالأستاذ محمد فائق (وزير إعلام مصري سابق) ينتقد النظرة السلفية التي تريد إعادة عجلة التاريخ إلى الوراء !!.

والأستاذ فريد عبد الكريم يدعو إلى عدم إقحام الدين كل دائرة من دوائر نشاطنا. والدكتور عصام نعمان ركز على أنه لا عصمة للفقهاء (لم يقل بعصمتهم أحد من المسلمين) ولكنه يريد أن يقول: إن باب الاجتهاد مفتوح للجميع ، وبمثل هذا قال مسعود الشابي واتهم الإسلاميين بأنهم يحتكرون المرجعية الدينية. والدكتور محمد عمارة يجوز أن يتولى القضاء الإسلامي رجل غير مسلم لأنه منفذ للقانون فقط.

وقد طالب الدكتور رضوان السيد كل طرف بالتنازل : "فعلى القوميين التقدميين أن يسقطوا من أجل الحوار شرطهم العلماني الذي يفصل أمتنا عن تاريخها ، وعلى الإسلاميين أن يسقطوا من أجل الأمة شعار تطبيق الشريعة الذي يشرذمهم في الراهن ولا يجمع"(1) ودعا فهمي هويدي للالتقاء حول

موضوع الحرية وحقوق الإنسان والقضية الفلسطينية كقضايا متفق عليها الآن بين الطرفين.
هذا الطلب حول التنازلات يأتي من طرف القوميين رغم أن موقفهم ليس هو الأقوى ، وهم الذين طلبوا الحوار ودعوا إليه ومع ذلك فإنهم يشترطون على الطرف الآخر (الإسلاميين) أن يكون متنوراً ويؤمن بالديمقراطية والتعددية ، أي أنهم يريدونه إسلامياً عصرانياً يتنازل لهم ويلتقي معهم في منتصف الطريق ، وإذا كانوا جادين في الحوار فلماذا لا يسمعون من الطرف الأقوى على الساحة ؟ وقد أحسن الدكتور رضوان السيد في الرد عليهم عندما قال : " إذا كنتم تقصدون لجوء بعض الحركات الإسلامية إلى العنف ، فإن الماركسيين الجدد هم أول من دعا إلى الحرب الشعبية الداخلية ، ولم تتهموهم بالظلامية وعدم الاستنارة"(2).
3 - إن شعارهم الذي رفعوه هو (الحوار القومي-الديني) ولم يقولوا (القومي-الإسلامي) وهذا مقصود طبعاً لأن الديني تعني أي دين ، وفيه أيضاً تحجيم للإسلام على أنه (نحلة) أو مذهب يستفاد منه روحياً واجتماعياً ، والكل يعلم أن الإسلام دين شامل مهيمن ، مكون للأمة من جميع جوانبها.
4 - إن ملاحظاتنا هذه لا تعني السلبية أو النقد ، فبعض المشاركين تكلموا كلاماً جيداً - وإن من وجهة نظرهم - ولكنه يتصف بالرزانة والتعقل ، وإذا كانوا سيساعدون فعلاً في إزالة القهر المفروض على المسلمين فهذا شيء طيب ، ونريد منهم التدليل على هذا لأن الإسلاميين ذاقوا من الاتجاه القومي الويلات ، وكلام فهمي هويدي أن الإسلاميين وقعوا في أسر الماضي ، وإن كان فيه شيء من الصحة ولكن هل يريد منهم نسيان هذا والمؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين ؟.
5 - بعد فترة من انتهاء هذه الندوة سئل أحد الدعاة الإسلاميين عن رأيه في الحوار مع العلمانيين ، فرحب بهذا كثيراً ، بل دعا إلى الحوار مع الكل ، مع المستشرقين والفاتيكان... وليس هذا مجال التعليق على جدوى أو أهمية مثل هذه الحوارات ، ولكن أليس من الأجدى والأولى الدعوة إلى الحوار مع الفصائل الإسلامية ودعوتهم إلى التعاون والتقارب والتنسيق ، وإذا كنا غير متحفظين على أي حوار نافع فأصحاب المنهج الواحد أولى بالمعروف.

الهوامش :

1 - مجلة المستقبل العربي ، العدد 130 ، الصادر في شهر 12/1989 .
2 - المستقبل العربي /130.

مصطلحات إسلامية

التوبة

إعداد: عادل التل

المعنى اللغوي :

التاء والواو والباء في أصل اللغة ، كلمة واحدة ، تدل على الرجوع. قال في اللسان : التوبة : الرجوع عن الذنب، والتوب مثله. قال ابن منظور: أصل تاب عاد إلى الله ورجع. ومعنى تاب الله عليه : أي عاد عليه بالمغفرة.
التواب بالنسبة لله تعالى تعني: كثرة قبوله توبة العباد حال بعد حال، أما بالنسبة للعبد: العبد الكثير التوبة ، ومن الألفاظ التي تشارك هذا اللفظ بالمعنى : ثاب ، وأناب ، وآب.

المعنى الاصطلاحي :

يجتمع الاستغفار والتوبة في كثير من الدعاء، وطلب المغفرة يعني طلب الستر، ففي اجتماع ذلك مع التوبة يكون المعنى متكاملاً لذلك كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يكثر من الدعاء: » والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة « رواه البخاري.

شرائط التوبة :

1 - ترك الذنب لقبحه: أي بالإقلاع عن المعصية سواء كانت من الكبائر أو من الصغائر، والأصل أن يكون ترك الـذنـب قـد جرى بإرادة حرة وإلا لم تعتبر توبة إذا كانت بطريق القهر أو العجز.
2 - الندم على ما فرط:وهو أن يندم المذنب على فعلته التي تركها ويشعر بالحزن والأسف كلما ذكرها وهو مهتم بذلك لـشـعـوره بعظم الذنب وقبحه وإدراكه مبلغ التفريط الذي صدر منه.
3 - العزيمة على ترك المعاودة: وهي النية التي تنشأ في قلب التائب تحقق صدقه بالتوبة وهي بمـثـابـة الـعـهـد الذي يقطعه بعدم الرجوع إلى الذنب وتحول الإرادة من المعصية إلى الطاعة.
4 - تدارك ما أمكنه من الأعمال:إذا كانت التوبة من معصية كانت بين العبد وربه ، فإن كانت متعلقة بتقصير في صيام أو زكاة أو غير ذلك، فلا بد من تأدية العمل موضوع التقصير حسب المطلوب شرعاً . وأمـا إذا كـان الـذنب متعلق بحق الناس، فلا بد من التحلل منهم وطلب الصفح أو إرجاع الحق إلى أصحابه إذا كان مادياً . وتـكـون الـتـوبة تامة إذا تحقق معها الاتجاه نحو الطاعة والعمل الصالح، قال تعالى :((ومَن تَابَ وعَمِلَ صَالِحاً فَإنَّهُ يَتُوبُ إلَى اللَّهِ مَتَاباً)) .

موضوع التوبة:

تشمل التوبة جميع الذنوب الصغيرة والكبيرة ، وقد روى أنس بن مالك قال : قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: قال الله تبارك وتعالى: » يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فـيـك ولا أبالـي،\ يا ابـن آدم

لـو بلـغـت ذنـوبـك عنان السماء ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطـايـا ثــم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة « صحيح رواه الترمذي.
ولا بد من التساؤل إلى متى تصح التوبة ؟ قال تعالى:((إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ، ولَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إنِّي تُبْتُ الآنَ ولا الَذِينَ يَمُوتُونَ وهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً)) [النساء:17-18] .
روى ابن ماجه والترمذي بإسناد حسن قال: رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:» إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر «.
أما الجهالة فقد روى ابن جرير عن قتادة عن أبي العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كانوا يقولون : كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة. وقال مجاهد وغير واحد: كل من عصى الله تعالى خطأ أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب. وقال تعالى :((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ويُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)) ذكر القرطبي في التفسير أقوالاً للعلماء في معنى التوبة النصوح :
1 - هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن إلى الضرع ، وروي عن ابن مسعود بسند صحيح (كما ذكر ابن حجر) مثل ذلك. وعن عمر وأبي معاذ أيضاً .
2 - قال قتادة النصوح : الصادقة الناصحة ، وقيل الخالصة ، يقال : نصح أي أخلص له القول.
3 - قال الحسن : النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر إذا ذكره.

من أحكام المصطلح :

إن الإسلام لا يغلق الأبواب في وجه الخاطئين ولا يطردهم من الجماعة إن أرادوا أن يعودوا إليه متطهرين ، بل يفسح المجال لهم ويبين لهم الطريق ويشجعهم على سلوكه ، فلا حرمان من رحمة الله لمن لجأ إليه ، وذلك كما يفعل أصحاب الديانات الأخرى حيث يقوم رجال الدين بطرد بعض الأفراد من الرحمة.
والتوبة واجبة على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة ، والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة..
يقول تعالى ذكره :((وتُوبُوا إلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) وقال أيضاً: ((إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ)) ويقول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: » سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك

من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت « رواه البخاري وابن ماجه والنسائي.

مشاهدات في أوربا

مدرسة طارق بن زياد

محمد سليمان

عندما وصلنا إلى مدينة (هلموند) في هولندا، والتي تبعد عن العاصمة أمستردام حوالي (130 كم)، كـان الـقـائـمـون على الـمسجد يرددون كثيراً (المدرسة الإسلامية)، فسألتهم عن هذه المدرسة ، فقالوا: الأفضل أن تراهــا وهــي قريبة في مدينة مجاورة اسمها (إندهوفن) ، وفي اليوم التالي اتجهنا إلى المدرسة التي أطلـقـوا عـلـيـهــا اسم (طارق بن زياد) ، وهي مدرسة ابتدائية متكاملة بفصولها ومرافقها قدمتها الدولة للجالية الإسلامية في هذه المدينة.

تجولنا في فصولها ومرافقها ، وكان كل شيء يوحي بأنـهـا إسلامية ، ثم كان هذا الحوار مع أخوين من الجالية العربية المغربية وهما من الأعضاء الخمسة المشرفين على المدرسة:

-كيف بدأت قصة المدرسة؟

- كنا نعاني كثيراً من خطر ضياع الأطفال في المجتمع الـغــربي ، فأسسنا مسجداً للصلاة بالاشتراك مع الإخوة الأتراك ، وبدأنا بتعليم الأطفال القرآن الـكـريـم فـي هذا المسجد في عطلة نهاية الأسبوع ، ثم ضاق المسجد بنا فانتقلنا إلى مكان أوسع وفكرنا في زيادة حصص اللـغـة الـعـربـيـة ، وكنا نعاني من عدم وجود مدرسين مؤهلين ، وفي عام 1986 تفاقـمـت مشاكل الاخـتـلاط في المدارس ، وكنا نذهب كمندوبين عن الجالية نناقش هذه المشاكل مع إدارة المدرسة ، ثم تكلمنا مع البلدية حول خصوصية المسلمين وثقافتهم ، فقالوا: هذا قانوننا ، وإذا كنتم تريدون غير هذا فابحثوا عن مدرسة خاصة بكم ، وقال أحد الموظفين في البلدية : عندي القانون الذي يسمح لكم بمدرسة خاصة بكم ، من هنا بدأت الفكرة ، ذهبنا إلى البلدية نبحث معهم الموضوع ، وطلبنا من بعض الهولندلين مساعدتنا فقالوا: إذا كنتم تستطيعون صعود الجدار فابدءوا ، ولكننا لم نيأس.

-كم من الوقت استمر هذا البحث؟

حوالي ثمانية أشهر ، في 31/3/87 دفعنا الطلب إلى البلدية ، وبعد شهر وجدنا تجاوباً وسجلنا أنفسنا كجمعية ، وقدمنا لهم قائمة بأسماء الأطفال الذين يرغب الآباء في تدريسهم في مدرسة إسلامية ، وافق المجلس البلدي بعد

مناقشات حادة فيما بينهم ، ثم وافقت المحافظة والوزارة بعد ضمان من مؤسسات تعليمية.

- هل يعني هذا أن الوزارة وافقت على تقديم البناء وكل تكاليف المدرسة ورواتب المدرسين والموظفين؟

- نعم ، ولكن نحن ندفع تكاليف النشاط فقط.

- متى افتتحت المدرسة؟

- في 14/8/88 وكان عدد الأطفال الذين سجلوا (160) طفلاً تتراوح أعمارهم ما بين (4-8) سنوات ولكن الذين حضروا فعلاً كانوا (45) ثم زاد العدد بعد شهر إلى (104) والمدرسة الآن تحوي فصلين حضانة وثلاثة سنوات ابتدائي.

- من المشرف الفعلي على المدرسة؟

-لجنة مؤلفة من خمسة أعضاء كلهم مسلمون ومن جنسيات مختلفة ، وهم الذين يشرفون على المناهج.

- كم عدد المدرسين المسلمين؟

- عندنا ثلاثة مدرسين للدين واللغة ، ومُدرسة هولندية مسلمة.

- و البقية؟

- المدير هولندي وهو متجاوب معنا تماماً لأنه جاء حسب الشروط التي أعلن عنها ، وبقية المدرسين هولنديون أيضاً.

- هل تحذف بعض الفقرات من المناهج التي تخالف الإسلام؟

- نعم ، مثل كتاب القراءة ، هناك صفحات عن أعياد النصارى اتفقنا مع المدير على حذفها.

- ودروس الموسيقى؟

ليس هناك درس موسيقى، وعوضنا عن هذا بتعليمهم الأناشيد ، ويتعلمون التجويد طبعاً ، وعندما جاء المفتش سمع من الطلاب وهم يقرءون فأعجبه ذلك.

- هل هذه أول مدرسة من نوعها في هولندا ، أعني مدرسة حكومية إسلامية؟ .

نعم ، وقد فتحت بعدها مدرسة في أمستردام تشرف عليها الجالية المصرية ، ومدرسة في روتردام تشرف عليها الجالية التركية، ونـتـوقـع فـي هـذه السنة أن يصل عدد المدارس الإسلامية إلى سبع عشرة مدرسة.

- هل تخططون لتأهيل مدرسين؟

بعد إنشاء هذه المدارس، بـدأ بـعـض الـشـبـاب بالـتـوجـه نحو التأهيل التعليمي،ولكن في أمستردام هناك كوادر من الإخوة الأتراك متخصصون في التدريس.

- هل تجدون مضايقات من الشعب الهولندي؟

في البداية ، حصلت مضايقات ، أحرقوا المكتب وهددوا بالهاتف والرسائل.
- هل هو حزب عنصري؟ .
نعم ، ولكنهم لا يصرحون بهذا ، والآن استقرت الأمور وليس هناك مشاكل.
شكرت الأخوة في (إندهوفن) و (هلموند) على هذا اللقاء وهذا التعرف على المدارس الإسلامية ، والتي تشكل إحدى الحاجات الرئيسية للجالية الإسلامية في أوربا، وأظن أن الدعم الذي يلقاه المسلمون في هولندا لتأسيس مدارس إسلامية لا يوجد مثيل له في باقي دول أوربا.
إن إبعاد التأثير الغربي عن أطفال المسلمين من أهم ما يجب العناية به ، وهو هدف من أهداف المنتدى الإسلامي ، كما أن موضوع التعليم بشكل عام هدف من أهداف مجلة البيان.

في التربية والعمل

وقفة مع الدعاة

عبد اللطيف الوابل

إن المتأمل في حال الأمة الإسلامية اليوم وما وصلت إليه من فرض نفسها على الواقع حتى أصبحت ترى أفواجاً من الشباب يلتزمون في دين الله سراعاً في قوة وحماسة وعزم ؛ يجد في نفسه أملاً قوياً ويحس في صدره بفرحة غامرة ، وحين يمد خطوة قليلاً فيدخل في خضم هذه الأمواج المباركة يقف متألماً حزيناً إذ يرى الأمراض الصغيرة الخطرة تصيب بعض هذه الأفواج الموعودة بنصر دين الله ، هي صغيرة ويمكن تلافيها حين يتيقظ لها ذوو الألباب وهي خطرة لأنها سرعان ما تنتشر في صفوف الدعاة كانتشار النار في الهشيم فتهدم هذا البنيان المبارك وتهلكه ، ويتذكر المرء قول الشاعر:

أرى خلل الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها كلام

ولما كان الخلل في ضبط الكلام وعدم الالتزام بمنهج الإسلام في استقامة اللسان من أهم أسباب هدم صفاء الأخوة ونقاء المحبة ، بل من أهم أسباب تقويض البنيان وضياع الجهود وتفرق الكلمة أحببت أن أذكِّر هذه الأفواج المباركة ببعض معالم هذا المنهج وذكر بعض الأمثلة مما يحصل في صفوف الدعاة ثم أبين ما يحصل من جراء الانحراف عن الالتزام بهذه المعالم الواضحة ، مع يقيني بأن كثيراً منها قد لا يخفى على أغلب طلبة العلم والدعاة ولكن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يلزم المرء بنصح إخوانه وتذكيرهم براءة للذمة وحرصاً على جمع القلوب ووحدة الكلمة.
وقبل البدء في الحديث عن هذه الأمور أحب أن أنقل كلمة للأستاذ سيد قطب رحمه الله حين تطرق لظلال قول الله سبحانه ((وقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَتِي هِيَ

أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُواً مُّبِيناً))
يـقـــول رحمه الله : " فالشيطان ينزع بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت ، وبالرد السيئ يتلوها فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء.. والكلمة الطيبة تأسو جراح القلب وتندي جفافها ، وتجمعها على الود الكريم ".

أولاً: منهج الإسلام في استقامة اللسان :

1 - اختيار أحسن اللفظ وأجمله حين الكلام ســواء كــان ذلك في محاضرة أو موعظة أو نقاش علمي أو نقد بناء أو نصيحة صادقة أو غـيـر ذلك لأن في ذلك كله أماناً من نزغات الشيطان وتسويله.
2 -الإمساك عن الكلام إلا لمصلحة راجحة والتحرز الشديد من الكلمة وحصرها في نطاق ضيق ، يقول الإمام النووي رحمه الله : اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة ، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة ، فالسنة الإمساك عنه ، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام ، أو مكروه ، وذلك كثير في العادة ، والسلامة لا يعدلها شيء . وكــم كـلـمــة أشـعـلـت حروباً وأوقدت عداوة الدهر بكامله!!..
3 - وزن الكلام وضبطه والتأمل فيه وفي عواقبه قبل إخراجه وعدم التسرع فالكلمة إذا خرجت لم تعد .
4 - القول بالعدل والصدق وإن كان ذلك على أقرب قريب سواء كان ذلك مختصاً بالأفراد أو الجماعات أو المؤسسات الإسلامية ، والحذر كل الحذر من مسايرة الحماس والعواطف الجياشة وخاصة في المحافل العامة وعلى منابر النصح و الإرشاد.
5 - البعد عن تحريف الكلام وليه والمغالطة فيه وأن يكون كلامه لإخوانه واضحاً صريحاً غير محتمل للتأويلات للشحناء والبغضاء والتدابر وانعدام الثقة.
6 - الالتزام بالقول وتصديقه بالفعل وعدم الفصل بينهما.
7-ترك الجدل والمراء وكل صنف من أصناف الكلام المؤدية إلى فساد القلوب وشحناء الصدور من لمز أو همز أو غمز مع اللين في القول لإخوانه المؤمنين وترك الغلظة والفحش .
8 -محاسبة النفس على كل كلمة خرجت والنظر في عاقبتها والخشية من الله سبحانه حين السؤال ووزنها بميزان الله أهي مما يرضي الله أم مما يسخطه ، فإن كانت الثانية أتبع السيئة بالحسنات.
9 -التحلي بلباس التقوى في كل حال من أحوال الكلام فإن الله هو المطلع وهو الذي سيحاسب ، كيف وقد قال سبحانه: ((يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))

ثانياً: بعض الأمثلة الناتجة عن عدم الالتزام بهذه المعالم :

قبل البدء في ذكر هذه الأمثلة أود أن أنبه أن ذكري لها ليس من باب الشماتة؛ وإنما من باب بيان عيوبنا حتى نصلحها ونتناصح بيننا حتى يستقيم البناء ولأجل أن يتنبه لها المربون المصلحون فيحفظون بتجنبها هذا البناء الشامخ ويسدون الباب على أعداء الإسلام من المنافقين ممن يتربصون بهم الدوائر ويسعون في إشعال نار الفتنة بين أفراد الحركات الإسلامية الملتزمة بمنهج السلف الصالح.

1-أصبحت أعراض كثير من الدعاة لحماً طرياً يؤكل بالليل والنهار فالغيبة تُعمل خنجرها في لحوم الدعاة إلى الله وبألسنة مَن؟ إنها ألسنة إخوانهم وأحبابهم وصدق من قال:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

فترى طالب العلم يدرس في نهاره؛ بل ويذكر الناس بتحريم الغيبة ويتلو عليهم قول الحق سبحانه: ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ ولا تَجَسَّسُوا ولا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)) ثم يجلس مع صاحبه في المساء الساعات الطويلة لا على صحيح البخاري أو صحيح مسلم أو أمر يهم شأن المسلمين بل على ذكر فلان الداعية ، وماذا له وماذا عليه ، وهكذا حتى يجر الحديث بعضه بعضاً فلا ينتهي مجلسهم إلا وقد قاموا عن مثل جيفة حمار ، ضيعوا أوقاتهم وتحملوا أوزار غيرهم وهتكوا أعراض إخوانهم ، ولو كان هذا الحديث لمصلحة شرعية راجحة لكان الأمر يسيراً ، لكنه أصبح كالفاكهة يتفكه بها. فأين أولئك من قوله سبحانه: ((مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)) ومن قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : »وهل يكب الناس في النار على وجوههم -أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم«.

2 - الرجم والتخرص دون تبين أو تمحيص ومعرفة ، فتسمع أحياناً في مجتمع الدعاة ألفاظاً عجيبة قد لا تسمعها من عوام الناس فترى بعضهم يصف بعضاً "لأنه لم يوافق هواه أو ليس على شاكلته" بأنه عميل وذاك جاهل ، وهذه المؤسسة مشبوهة ، وتلك مجلة فيها كيت وكيت ، وهكذا تتوالى الألقاب والأوصاف ، والله قد خاطب المؤمنين بقوله:((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)) وفي الحديث: »إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث« ، ويقول -صلى الله عليه وسلم- في حديث أبي هريرة : »إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان ، الله تعالى ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم« ويقول الحسن البصري رحمه الله:"ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه ".

3-بخس الناس أشياءهم وترك العدل في القول فتسأل فلاناً الداعية عن كتاب معين أو مركز إسلامي أو مجلة أو عن داعية آخر أو غير ذلك فيحدثك

ويجيبك حسب هواه ورغبته فإن كان السؤال عن أمر موافق لهواه رفعه فوق السماء وإلا كال له الشتم والمذمة ، وأقل أحواله أن يطلب منك غض الطرف عنه وعدم الالتفات إليه فأين المسكين من قول الله سبحانه:((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ)) وقوله:((وإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ولَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى)) وقوله :((ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)) وحين بعث رسول الله-صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن رواحه يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال : "والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليَّ ولأنتم أبغض إلي من أعدادكم من القردة والخنازير وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على ألا أعدل فيكم ، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض".

4 -مخالفة العمل للقول... فترى مجموعة من الدعاة يتفـقـون عـلــى أمر بينهم لمصلحة الدعوة ومن باب.. التعاون على البر والتقوى وما إن يتفرقوا إلا وقد خالف العمل القول وامتثل كل منهم المثل السائد: (كلام الليل يمحوه النهار) بل إنك تسمع أحياناً داعية يذكر الناس في محاضرة أو موعظة أو مجلس فينتقد حالة مرضية فـي مجـتـمـع الدعوة وسرعان ما تراه يقع فيما نهى عنه قبل أن ينهي محاضرته وكأن الأمر أصبح مـألـوفـاً ومعتاداً، والله قد مقت من هذا وصفه بقوله:((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ)) .

وأمر بالوفاء بالعهود والمواثيق فقال:((وبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا)) وقال:((وأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً)) .

5-الوقوع في النميمة والتخصص في إفساد القلوب عن طريق اللسان الذي خلقه الله لذكره وتلاوة كتابه ، فترى أقواماً قد تخصصوا في الإيقاع بين الدعاة وطمس معالم الود والصفاء ، وما علموا أنه لا يدخل الجنة نمام وأن شر الناس من يسعى بينهم بالنميمة ، فليتذكر أولئك قول الله سبحانه:((يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وأَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الحَقَّ ويَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ)) .

6-عدم الاتزان في القول والتردد بين الإفراط والتفريط فيوماً يذكر فلاناً الداعية فيرفعه فوق منزلته التي هو فيها حتى كأنك ترى صحابياً من خيرة أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- وحين يتغير الهوى وتزول المصالح ترى ذاك الذي كان في الأفق قد نزل إلى الحضيض ، وهذا كله نتيجة الشطط والبعد عن الحق وميزان العدل.

7-تفسير النصيحة على غير وجهها وتقديم الظن السيئ على حسن النية مما تسبب في انعدام النصح وتركه بين الدعاة إلى الله. فحين يأتي الناصح ليقول حقاً يتبادر لذهن المنصوح أولاً الظن السيئ ، والتفسير المغلوط ، فلا يقبل

النصح بل ربما قال له أنا أعرف بحالي! وكأن المسكين معصوم عن الخطأ والزلل.
ولا نشك بأن الدعاة إلى الله سبحانه بشر وأنهم يخطئون ويذنبون ، لكن حين تصبح بعض هذه الأمثلة ظواهر تراها بالليل والنهار ، هنا يحتاج الأمر إلى لفت الأنظار وشد الانتباه لمعالجة هذه الظواهر المرضية ، والكيس من دان نفسه وحاسبها ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

ثالثاً : عواقب البعد عن معالم منهج الإسلام في ضبط اللسان :

1 - التباعد والتباغض بين الدعاة إلى الله وعدم استفادة بعضهم من بعض وخاصة إذا كانوا من مدارس مختلفة.
2 - انعدام الثقة في صفوف الدعاة مما تسبب في حيرة كثير من الشباب لأنه لم يعد يعرف الصادق من غيره فذاك يثني على فلان ، وذاك يرد ، ومن هنا كثرت المدارس وتعددت الطرق وتباعدت القلوب.
3 - انعدام البركة وتأخر الثمرة وهذا نتيجة عدم الالتزام الصادق بأمر الله ومنهجه. فكم ترى من الدعاة وكم تبذل من جهود فإذا بحثت عن الثمرة وجدتها لا تتناسب مع هذه الجهود؛ بل والمصيبة أنك ترى أحياناً ثمرات لكنها تقطف بأيدي الأعداء وصدق الله إذ يقول:((ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)) .
4 -كـثـرة قـالــة السوء في صفوف الدعاة لأن الذي لا يحمي بيته ويحفظه يصبح مرتعاً للصوص حتى لا تكاد تميز بين اللص وصاحب الدار
وهكذا نرى اليوم فـي صفوف الدعاة أنواعاً من المنافقين وقالة السوء ، يظن من لا فطنة له أنهم من رواد هذه الصحوة المباركة.
ولهذا أصبح ستار الدعوة سهل الاختراق من كثير من أعداء الإسلام.
5 -غياب النقد والمراجعة والتناصح لأنه قد اختلطت المفاهيم فلم يعد يفرق الداعية بين النقد البناء والنصح الصادق وبين السب والشتم والتخرص وهكذا تضيع الجهود والتجارب دون استفادة من الدروس وأخذ العبر وتصحيح المسار.
6-ضعف التخطيط وضـيــاع الجـهــود على المستوى العام للدعوة وانعدام عنصر التعاون الشامل بين الحركات الإسلامية ولو عــلــى أقـل الأمور في الخطوط العامة ، فذاك يبني وأخوه يهدم ما بنى وهذا يتعامل مع إخوانه بأسـلـوب سياســة الشرق والغرب ، فكيف يحصل التخطيط الشامل والتعاون والتنسيق وبأي حال يمكن أن تصب جهود الدعاة كلها في مصب واحد؟.
7 - قسوة القلوب وصدؤها وبلادة الحس وعدم الشعور بالإثم فأصبحت ترى أقواماً اعتادوا على الانحراف عن هذه المعالم فلا يؤثر فيهم نصح ولا يمنعهم تخويف بالله ، فإن نصحت لا تجد إلا قبولاً بارداً وعاطفة سريعة الانطفاء

وعزيمة كاذبة على ترك هذا الخلق الذميم سرعان ما تنتهي ويردها قلبه القاسي.
فإليك أخي الداعية أسوق هذه التذكرة وتلك الالتفاتة لعلها تصادف قلباً قد آلمه ما يرى من حال الدعاة فتتمكن فيه النصيحة ويتذكر ما نسى ، ويحملها لغيره نصحاً لله وفي ذات الله فإن المرجع هو إلى الله وحده والسؤال سيكون في القبر لك وحدك حين الظلمة والوحشة ، فاتق الله واخشَ يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار.

خواطر في الدعوة

بين الشيوخ والشباب

محمد العبدة

لا أعتقد أن التشدد أو التساهل كلمتان مناسبتان لوصف داعية إسلامي أو اتجاه إسلامي ، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- غـضـب غـضـبـاً شـديـداً عندما رأى معاذاً رضي الله عنه يطيل في القراءة في الصلاة وهو إمام وقال له : أفتان أنت يا معاذ؟ فالمتشدد ، يوحي للناس بشكل غير مباشر أن هذا هو الإسلام ، وقد يصرف بعض الناس عن الخير ، والمتشدد كأنه يتمنى في داخله لو أن الإسلام أمر بهذا أو شدد في هذا، وهــو فـي هـذه الحال يضيق على نفسه وعلى المسلمين ، ويحاول أن يفهم النصوص فهماً خاصاً، وقل مثل ذلك في المترخص أو أكثر فهو يحاول التهرب من النصوص أو الالتفاف عليها ، ويتقرب من الناس ويشعرهم أن الإسلام ليس بالذي يتصورونه ، ويضغط عليه أقوام يريدون (فتاوى) جاهزة تناسبهم ، فإذا استجاب يطلبون منه أكثر ، ودين الله بين الغالي والجافي ، وأظن أن المسلم يعرف هذا من نفسه إذا راقبها ، وبحث في داخلها ، هل يميل إلى التشدد لشهوة في نفسه أم لا؟ وكلا الطرفين فيه شهوة خفية.
التقيت بشباب يميلون إلى التشدد ، لا نتهمهم في إخلاصهم وحبهم لهذا الدين ، وحـبهم لـنــشــره بين الناس وتطبيقه منهجاً وسلوكاً، ولكنهم أتوا من قبل قراءاتهم للكتب وقـلــة العلماء الربانيين الذين يوجهونهم ويوضحون لهم كل مسألة، صغرت أم كبرت، فظهر لهم بعد طول القراءة ، أن هذا من السنة ، وهذا من السنة ولا يفرقون بين السنة التي نؤمر بها على وجــه المتابعة والـتـعبد والمشروعية ، وبين السنة التي فعلها الرسول -صلى الله عليه وسلم- على وجــه الــعــادة في قــومـــه وكونـه بشراً ، وإلى هؤلاء نقول : ارفقوا بأنفسكم وبالمسلمين ؛ نحن لا ندعوكم إلى التساهل أو تـرك شيء من الإسلام ، ولكن تأكدوا قبل أن تلتزموا بشيء أو تلزموا الناس، تأكدوا من

مشروعيته، ثم كيفية عرضه على الناس ، وإلا جاءت النتائج بعكس ما تؤملون، إنكم تريدون الخير للمسلمين، وتجدون الإعراض عنكم.
وفي الأسبوع الذي التقيت فيه بهؤلاء الشباب قرأت مقابلة في إحدى الصحف لأحد الشيوخ الدعاة ، تكلم فيها عن المرأة وصب جام غضبه على الإسلاميين الذين يخنقون أنفاسها ، ولا يبرزونها لتكون قائدة من قواد العمل الإسلامي ، ويقول : "ورغم أن المرأة ذهبت للجامعة وخرجت للعمل والسوق ، ولكنها لا تزال محرومة من الصلاة في المساجد (يقصد الصلوات الخمس) ". نحن لا نقلل من أهمية فهم المرأة للإسلام ودورها في ذلك، ولكن لماذا يستدرج الدعاة دائماً للكلام عن المرأة وكأنها هي المشكلة الرئيسية ، فإذا حلت هذه المشكلة حلت كل المشاكل ، وهذا ديدن الصحفيين ، يريدون (الفتاوى) التي تعجبهم لينشروها بين الناس، وفي تلك المقابلة قال الشيخ: " إن الديمقراطية المعاصرة هي الشورى الإسلامية " هكذا وبكل بساطة وسهولة. مع أن الخلاف بينهما كبير(وليس هذا مجال تفصيله) ولكنه لو قال: إن الإسلام يكره الاستبداد؛ والديمقراطية - على ما فيها من خلل كبير وهذا يعترف به الغربيون - هي أفضل من النظم الدكتاتورية لكان كلامه صحيحاً. أما أن تكون الديمقراطية التي تمارس الآن هي الشورى الإسلامية أو صنواً لها فهذا تساهل ، والفتوى أمانة برقاب العلماء ، والصراط المستقيم الأعدل هو المطلوب.

الإعجاز التشريعي

قاعدة لاستمرار عملية الاجتهاد

د. عابد السفياني

لا عجب أن تتشكل خيوط الإعجاز التشريعي، والإعجاز الكوني ، فالله هو صاحب الخلق والأمر ، وإن من أبرز ملامح هذه المشاكله ما يلي:
1- الكون خلقه الله وقدر فيه طاقاته، فبقدر ما يتعامل الإنسان معها بقدر ما يستخرج منها ، فالماء طاقة مقدرة في الأرضإذا استخرجها الإنسان فإنما استخرج طاقة كامنة يسر الله لها استخراجها ولكنها ليست خلقاً جديداً مستأنفاً في الأرض((قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ ، وجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وبَارَكَ فِيهَا وقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ))[فصلت:9-10] .
وفي هذه الآية دلالة على أن الله جعل في هذه الأرض جميع ما تحتاجه البشرية من الطاقات ، وكل جيل يستخرج منها ما يطيق حسب قدراته ونشاطه ومبلغه من العلم ، وكذلك هذه الشريعة ، جاءت نصوص الوحي بها متضمنة معاني لا حصر لها، فقد جعلها الله شاملة لما يشاء أن يعلمه للبشر

في جميع أجياله ، وكل جيل يعلم منها ما يحتاج إليه في جميع شئونه،فيستخرج منهاجاً يحكم حياته كلها، فـيـحـفـظ لـه هــذا المنهج عقيدة صحيحة - فيسلم من التخلف العقيدي وهو الارتكاس إلى الجاهلية البشريـة - ويـحـفــظ حيـاتـه الاقـتـصـادية والاجتماعية والأخلاقية فتتحقق حينئذ العبادة في هذه الأرض وهي المهمة التي خلق الله الإنسان من أجلها.
يأتي كل جيل ليرتبط بهذه الشريعة ، ويجد علماؤه فيها كل ما يحتاجه في تلك الأمور - وليس شيئاً من ذلك قد أنزل إنزالاً جيداً مستأنفاً ، كلا ، وإنما هو متضمن في هذه الشريعة ، تماماً كما هو الشأن في هذا الكون فيقف كل جيل ليجد ما يحتاجه من الطاقات في هذا الكون مدخراً له ، ويجد المنهج الصحيح الذي يحكم له جزئيات حياته مدخراً له في هذه الشريعة فيعلم أن له رباً خلق له كوناً يعيش فيه ليستخرج طاقاته ، وإلهاً أنزل له شريعة ليستخرج منها ما يبصره بالمنهج الصحيح ، وهذه أول ملامح تلك المشاكلة بين الإعجاز الكوني والإعجاز التشريعي.
2- إن هذا الكون لا تضاد فيه ولا تناقض بل هو صنعة محكمة مبدعة وهذا هو الإعجاز الذي يقابله إعجاز تشريعي حيث أنزل الله شريعته لا تضاد فيها ولا تناقض ولا اضطراب ، بل هي قول محكم.
وملامح هذه المشاكلة تظهر في مثل قوله تعالى عن بيان امتناع هذا الكون عن الفساد والاضطراب:((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا)) [الأنبياء:22].
نعم لو كان في السماء والأرض آلهة إلا الله لاقتضى ذلك أن تتعد الإرادات في تدبير هذا الكون ، فهذا يسير القمر إلى جهة ، وآخر يأمره بضدها ، وهذا يريد الشمس جارية ، وذاك يريدها ساكنة ، وحينئذ يقع الفساد ، فلا يمكن أن تتعدد الآلهة-وكل إله يستحق الألوهية-كلا لو كان كذلك لفسدت السموات والأرض.
وشريعة الله التي هي كلامه المعجز ووحيه إلى نبيه لا يمكن أن تتعارض ولذلك قال تعالى:((ولَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)) [النساء:82].
نعم لوكان القرآن من عند غير الله لوجدنا فيه ذلك الاختلاف ، فلما لم نجد قطعنا حينئذ أنه من عند الله ، مثل سلامة الكون من الفساد دلنا ذلك على أنه من خلق الله ، وهذا وذاك هو سند الثبات في هذا الكون وفي هذه الشريعة إلى أن تقوم الساعة فيقدر الله حينئذ ما يشاء ، والثبات هو من أهم معالم الإعجاز التشريعي والإعجاز الكوني.
3-من مظاهر الإعجاز في الكون أنك تجده متجدداً معطاء بفضل من الله ، والإنسان يستثمر ذلك العطاء ، وكلما اتجه الإنسان إلى الاستثمار الصحيح وجد خيراً كثيراً بإذن الله ، وفي هذا الكون طاقات كلية ثابتة يستخرج منها الإنسان - عن طريق الاستثمار الصحيح -طاقات جزئية لا حصر لها ، ولذلك يختلف البشر في إمكان - الحصول على ذلك ما بين مستكثر ومستقل ، وقد حمل

الله الإنسان هذا الجهد ليكابد الحياة ويعمل ويعمر الأرض فتتحقق العبادة بإقامة الخلافة فيها.
والإنسان في كل ذلك ليس خالقاً ولا منشئاً حتى وإن اكتشف ، لأن أصل الخلقة لله سواء في الكون أو الإنسان ، وجهد الإنسان إنما هو اكتشاف لما يسره الله له حسب السنن الربانية.
وكذلك هذه الشريعة - التي هي وحي من الله - جعلها سبحانه متضمنة لكليات تشريعية تحفها جزئيات تشريعية كذلك ، ثم كلف الأمة المتبعة لهذه الشريعة أن تجهد جهدها في إقامة فرض الكفاية وهو التعلم ، وتهيئة طائفة منها لتقوم بمهمة التعليم والاجتهاد وذلك كله فرض كفاية ، وعلى الأمة العمل لإقامته ، وهؤلاء المجتهدون يستثمرون تلك الكليات التشريعية ، وقد علموا منها ومن تلك الجزئيات كيف يتم الاستثمار وتتحقق مقاصد الشريعة ، وحينئذ يتحقق لكل جيل عن طريق - المجتهدين- الحكم في مسائل لا يمكن حصرها البتة ، وهذا هو غاية الاستثمار للكليات التشريعية (1) ، وهذا الاستثمار اكتشاف لحكم الله ، وليس إنشاء ولا تشريعاً تماماً كما تبين لنا في الإعجاز الكوني ، ذلك أن الله وحده هو الخالق والمشرع والآمر سبحانه لا إله إلا هو.
4 - من مظاهر الإعجاز الكوني أنك تجد شجرة واحدة - وهي آية من آيات الله -تتفرع عن أصلها فروع كثيرة جداً ، وتجد أيضاً أنواعاً كثيرة من المخلوقات - كالهواء والبذر والتربة.. - تجتمع لتخرج - بإذن الله - الزرع بجميع أجناسه ، الذي يصلح لسد كثير من حاجات الإنسان.
وإنك لتجد هذه الملامح في الإعجاز التشريعي :
فمثلاً إذا تأملت في العموم اللفظي وجدته كأصل الشجرة الواحدة تقوم عليها تلك الفروع الكثيرة ، فاللفظ العام يشتمل في دلالته على فروع كثيرة ، أصله لفظ واحد وفروعه لا تنحصر.
وإذا نظرت في مثال آخر وهو العموم المعنوي وجدت جزئيات من الشريعة قد اجتمعت من كل مكان على معنى واحد ، فأصبح هذا المعنى جنساً ينتج لنا أحكاماً خاصة بمسائل كثيرة بل يصبح مثل العموم اللفظي ، فهناك لفظ عام تبنى عليه فروع شتى ، وهنا جزئيات كثيرة يخرج منها أصل واحد يحكم به على جزئيات لا تنحصر ، فهل رأيت مثل هذا الإعجاز ، شجرة واحدة في الأصل تنمو فروعها وتتكاثر ، وجزئيات متناثرة-من تراب وماء وهواء وبذور- تجتمع لتخرج بإذن الله شجرة ذات فروع كثيرة ، عمومات لفظية-هي عمدة الشريعة - يتفرع عن كل واحد منها فروع لا تنحصر ، وجزئيات كثيرة يتفرع عنها فروع كثيرة جداً تشابهها في الحكم -عن طريق القياس الشرعي- وهذه الجزئيات تجتمع مرة أخرى لتنتج العموم المعنوي فيحكم به على فروع لا تنحصر. هكذا في دورة تشريعية معجزة لا أجد لها شبيهاً إلا تلك الدورة الفلكية أو دورة الزروع والثمار المعجزة في الخلقة ، التي تظنها قد تقف

فينقطع عطاؤها ، فكلما طاف بك طائف من شك أبصرتها تنطلق في دورة جديدة تبدد تلك الشكوك ، هذه دورة الإعجاز الكوني الذي يقول الله عنها متحدياً البشر في جميع العصور:((هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)) [لقمان:11].
وهذه هي دورة الإعجاز التشريعي الذي يقول الله عنها متحدياً كذلك:((قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ولَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً)) [الكهف:109].
أقول - والله أعلم بمراده - إن هذه الشريعة وهي كلام الله لا تنفد أبداً-مهما قدر الله أن يخلق من الأجيال على هذه الأرض وسيجد فيها كل جيل ما يحتاجه يستنبطه منها علماؤه -فلا تنفد أبداً ، بل ينفد البحر دون أن ينفد منها شيء.
الهوامش:
1 - نتحدث هنا عن الوضع السوي الذي خلق الله الإنسان له ، وإلا فإن هناك أجيالاً تنحرف عن مقصد الإعجازين الكوني والتشريعي فلا هي استثمرت طاقات الكون ، ولا هي اتبعت الشريعة ، وهذه الحالة السيئة مرت بأجيال كثيرة جداً من أجيال البشرية.

فقه

التسعير في الفقه الإسلامي

عثمان جمعة ضميرية

ما حكم التسعير ، وهل هو جائز إطلاقاً ، أو محرم إطلاقاً ، أو يجوز في حين دون آخر ، ومتى يجوز ومتى لا يجوز؟ هذا ما سـنـبـحـثـه بشيء من الإيجاز ، نبين فيه آراء العلماء ومستندهم ، ليظهر الرأي الراجح ، بتوفيق الله تعالى.

-1-

التسعير في اللغة هو : تقدير السعر، أو هو الذي يقوم عليه الثمن ، وجمعه : أسعار ، وقد أسعروا وسعَّروا بمعنى واحد ، أي : اتفقوا على سعر.
وقال الفيومي في المصباح المنير : سعَّرت الشيء (تسعيراً) : جعلت له (سعراً) معلوماً ينتهي إليه ، و(أسْعَرته) بالألف ، لغة ، وله (سعر) إذا زادت قيمته ، وليس له (سِعْر) إذا أفرط رخصه (1).
وفي الاصطلاح الفقهي : اختلفت عبارات الفقهاء في تعريفه ، وفيما يلي بعض تعريفاتهم:
1- عــرف الـقـاضـي الـبـيـضاوي السعر بأنه: القيمة التي يشيع البيع عليها في الأسواق، والتسعير : تقدير هذه القيمة (2).

2 - وبين ابن القيم حقيقة التسعير، فقال : إنه إلزام بالعدل ومنع عن الظلم ، وهو يشمل تسعير السلع والأعمال ، ويتفق في هذا مع شيخه ابن تيمية ، رحمه الله (3).
3 - وعرف الشوكاني التسعير بأنه: أمر السلطان ونوابه ، أو كل من ولي من أمور المسلمين شيئاً، أهل السوق ألا يبيعوا أمتعتهم إلا بسعر كذا، فيمنعون من الزيادة أو النقصان لمصلحة (4).

-2-

وقد ذهب جمهور العلماء : أبو حنيفة والشافعي وأحمد، إلى أنه لا يجوز للحاكم أن يسعر على الناس مطلقاً ، وإن فعل ذلك يكون فعله هذا إكراهاً يكره معه البيع والشراء ، ويمنع صحة البيع عند بعضهم.
وذهب المالكية إلى جواز التسعير في الأقوات مع الغلاء، وقالوا: ليس لمن أتى السوق، من أهله أو من غير أهله، أن يبيع السلعة بأقل من سعرها،ويمنع من ذلك. وله أن يبيع بأكثر.
وذهب بعض العلماء، كسعيد بن المسيب، وربيعة بن عبد الرحمن:إلى جواز التسعير مطلقاً.
وذهب كثير من العلماء ، كمتأخري الحنفية وبعض الحنابلة ، كابن تيمية وابن القيم إلى جواز التسعير في أحوال خاصة ، بل وإلى وجوبه أحياناً أخرى(5).
ويمكن تصنيف هذه المذاهب والأقوال ورجعها إلى مذهبين اثنين : مذهب القائلين بتحريم التسعير ومنعه ، ومذهب القائلين بجوازه.

-3-

استدل المانعون للتسعير بأدلة ، منها ما يأتي:
1 - حديث أنس رضي الله عنه ، قال : غلا السعر في المدينة على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال الناس: يا رسول الله غلا السعر ، فسعر لنا : فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: " إن الله هو المسعِّر ، القابض الباسط الرازق ، وإني لأرجو أن ألقى الله عز وجل ، وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال " (7).
وجه الدلالة في هذا الحديث من وجهين :
أحدهما : أنه لم يسعر وقد سألوه ذلك ، ولو جاز لأجابهم إليه.
الثاني : أنه علل الامتناع عن التسعير بكونه مظلمة ، والظلم حرام(7).
2 - ما رواه مالك في الموطأ عن سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مـر بحاطب بن أبي بلتعة، وهو يبيع زبيباً له في السوق، فقال له عمر: إما أن تزيد في السعر، وإما أن ترفع من سوقنا (8). فلما رجع عمر حاسب نفسه ، ثم أتى حاطباً في داره، فقال: إن الذي قلت لك ليس عزمة

مني ولا قــضـاء ، إنما هو شيء أردت به الخير لأهل البلد، فحيث شئت فبع ، وكيف شئت فبع.
وقال مالك: لو أن رجلاً أراد فساد السوق فحط عن سعر الناس ، لرأيت أن يقال له : إما لحقت بسعر الناس، وإما رفعت، وأما أن يقال للناس كلهم - يعني لا تبيعوا إلا بسعر كذا - فليس ذلك بالصواب (9)..
3 - قال الشافعى رحمه الله: إن الناس مسلطون على أموالهم ، ليس لأحــد أن يأخذها ، أو شيئاً منها؛ بغير طيب أنفسهم إلا في المواضع التي يلزمهم الأخذ فيها، وهذا ليس منها. والله تعالى يقول:((لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ)) [النساء:29](10).
وقال قاضي زاده الحنفي : إن الثمن حق العاقد ، فإليه تقديره ، فلا ينبغي للإمام أن يتعرض لحقه ، إلا إذا تعلق به دفع ضرر العامة (11).
4 - التسعير سبب الغلاء ، لأن الجالبين إذا بلغهم ذلك لم يقدموا بسلعهم بـلــداً يكرهون على بيعها فيه بغير ما يريدون ، ومن عنده البضاعة يمتنع من بيعها ويكـتـمها ، ويطلبها أهل الحاجة إليها فلا يجدونها إلا قليلاً ، فيرفعون في ثمنها ليصلوا إليها ، فتغلو الأسعار ويحصل الإضرار بالجانبين: جانب المُلاك، في منعهم من بيع أملاكهم، وجانب المشتري في منعه من الوصول إلى غرضه ، فيكون حراماً (12).

وبالنظر في هذه الأدلة التي سبقت يتبين أنها لا تدل على المنع من التسعير كـقـاعدة عامة في كل الأحوال والظروف ، ولكنها تدل على المنع من التسعير في الأحوال الـعـاديـة التي يكون التسعير فيها مجحفاً بحق البائع أو العامل الذي يقوم بما يجب عليه من امتناع عن الاحتكار أو التواطؤ لإغلاء الأسعار ورفعها ، وذلك أن الامتناع عن التسعير جاء مـعـلـلاً ، والأحكام تدور مع العلة وجوداً وعدماً .
فالحديث الشريف يبين أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- امتنع عن التسعير نـظــراً لأن فــيــه مظلمة ، وذلك لأنه لم يكن هناك ما يقتضي التسعير في ذلك الوقت. لأن ارتــفــاع الأسعار لم يكن بفعل التجار واحتكارهم ، وإنما كان ذلك نتيجة لعوامل أخرى لا دخل فيها لهم(13).
وقد رد شيخ الإسلام احتجاجهم بالحديث وبين علة امتناع النبي -صلى الله عليه وسلم- عن التسعير فقال : (وإنما لم يقع التسعير في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة؛ لأنهم لم يكن عندهم من يطحن ويخبز بكراء (أجرة) ، ولا من يبيع طحيناً وخبزاً ، بل كانوا يشترون الحب ويطحنونه ويخبزونه في بيوتهم ، وكان من قدم بالحب لا يتلقاه أحد ، بل يشتريه الناس من الجلابين ، ولهذا جاء في الحديث : » الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون « (14) ?وكذلك

لم يكن في المدينة حائك ، بل كان يقدم عليهم بالثياب من الشام واليمن وغيرهما ، فيشترونها ويلبسونها) (15).
وقال أيضاً : (من احتج على منع التسعير مطلقاً بقول النبى -صلى الله عليه وسلم- » إن الله هو المسعر... « قيل له : هذه قضية معينة ، وليست لفظاً عاماً ، وليس فيها أن أحداً امتنع من بيع ما الناس يحتاجون إليه ، ومعلوم أن الشيء إذا قل رغب الناس في المزايدة فيه ، فإذا بذله صاحبه ، كما جرت به العادة ، ولكن الناس تزايدوا فيه - فهنا لا يسعر عليهم.
ثم ضرب أمثلة على جواز إخراج الشيء عن يد مالكه بعوض المثل ، وقال : والمقصود أنه إذا كان الشارع يوجب إخراج الشيء من ملك مالكه بعوض المثل لمصلحة تكميل العتق ، ولم يُمَّكن المالك من المطالبة بالزيادة على القيمة ، فكيف إذا كانت الحاجة بالناس إلى التملك أعظم وهم إليها أضر ؟ مثل حاجة المضطر إلى الطعام والشراب واللباس وغيره (16).
وقال الإمام أبو بكر بن العربي في شرحه لجامع الترمذي: (وقال ســـائــر الـعـلـمـاء بظاهر الحديث، لا يسعر على أحد. والحق: الـتـسـعـير، وضــبــط الأمر على قانون لا تكون فيه مظلمة على أحد من الطائفتين، وذلك قانون لا يعرف إلا بــالــضــبـط لـلأوقــاف ومقادير الأموال. وما قاله النبي -صلى الله عليه وسلم- حق وما فعله حكم ، لــكـن على قوم صح ثباتهم ، واستسلموا إلى ربهم. وأما قوم قصدوا أكل أمـوال الناس والتضييق، فــبـــاب الله أوسع وحكمه أمضى) (17).
وأما ما رواه الإمام مالك في الموطأ ، من قصة عمر بن الخطاب مع حاطب بن أبي بلتعة فيرى بعضهم : أنه يتعلق بالبيع بأقل من ثمن المثل ، وعندئذ فلا يجوز للحاكم أن يتدخل في تحديد السعر ، لأنه إنما يتدخل بالتسعير إذا عرضت السلعة بأكثر من ثمن المثل لما في هذا العرض من استغلال لحاجة الناس ، وأما إن عرضت بأقل من السعر فلا يجوز التدخل.
فإن قيل : في هذا ضرر على أهل السوق ؟ فالجواب : أن هذا باطل ، بل في قولكم أنتم الضرر على أهل البلد كلهم ، وعلى المساكين ، وعلى هذا المحسن إلى الناس ، ولا ضرر في ذلك على أهل السوق ، لأنهم إن شاءوا أن يرخصوا كما فعل هذا فليفعلوا ، وإلا فهم أملك بأموالهم ، كما أن هذا أملك بماله (18).
وقال ابن رشد في البيان والتحصيل : لا يلام أحد على المسامحة في البيع والحطيطة فيه، بل يشكر على ذلك إن فعله لوجه الناس ، ويؤجر إن فعله لوجه الله تعالى (19).
وأما أن الناس مسلطون على أموالهم ، فهذا صحيح ، ولكنه ليس على إطلاقه ، إذ هناك قواعد أخرى تحكم على هذا الأصل ، كقاعدة رفع الضرر ، وقاعدة المصلحة العامة ووجوب تقديمها على المصلحة الخاصة ، كما أن الرضا لا

يعتبر في بعض الحالات التي يتعارض فيها هذا مع مصلحة عامة. كما أن التسعير لا يخالف آية الرضا في التعامل.
الخلاصة : وبهذا تبين أن التسعير ليس فيه مخالفة للحديث الشريف ولا للآية الكريمة التي استدل بها المانعون للتسعير ، كما أن فيه مصلحة عندما تدعو الحاجة إليه ، لذلك أجازه الحنفية أيضاً : " إذا تعلق به رفع ضرر العامة ، فإذا كان أرباب الطعام يتحكمون ويتعدون عن القيمة تعدياً فاحشاً كالبيع بضعف القيمة ، وعجز القاضي عن صيانة حقوق المسلمين إلا بالتسعير، فحينئذ لا بأس بمشورة من أهل الرأي والبصيرة ، إذا تعدى أرباب القوانين وظلموا العامة ، فيسعر عليهم الحاكم دفعاً للضرر عن المسلمين ، بناء على ما قاله أبو يوسف ، فإنه اعتبر حقيقة الضرر ، إذ هو المؤثر في الكراه " (20).
كما أجازه الشافعية أيضاً عند الاضطرار، كما نقل ذلك عنهم ابن تيمية وابن القيم ، حيث يقول ابن القيم رحمه الله : "وأبعد الأئمة عن إيجاب المعاوضة وتقديرها هو الشافعي ، مع هذا فإنه يوجب على من اضطر الإنسان إلى طعامه أن يبذله بثمن المثل ، وتنازع أصحابه في جواز تسعير الطعام إذا كان بالناس حاجة إليه ، ولهم فيه وجهان" (21).

-5-

وبهذا أصبح التقارب حاصلاً بين المجيزين للتسعير والمانعين ، لأن التسعير إذا كان ظلماً ، والحاجة لا تدعو إليه فهو غير جائز ، ولا ينبغي لولي الأمر أن يفعله. وإن كان فيه مصلحة ورفع ضرر عن العامة جاز لولي الأمر ، بل وجب عليه ذلك إن تعين طريقاً لتحقيق المصلحة.
وهذا هو ما حرره ابن القيم وبسطه وأقام الأدلة عليه حيث قال:"..وأما التسعير ؛ فمنه ما هو محرم ومنه ما هو عدل جائز، فإذا تضمن ظلم الناس، وإكراههم بغير حق على البــيـع بثمن لا يرضونه ، أو منعهم مما أباح الله لهم فهو حرام ، وإذا تضمن العدل بين الــنــاس مثل إكراههم على ما يجب عليهم من المعاوضة بثمن المثل ، ومنعهم مما يحرم عليهم مــن أخذ الزيادة على عوض المثل فهو جائز ، بل واجب.
فأما القسم الأول : فمثل ما روي عن أنس : غلا السعر على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ... ? فإذا كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم مـنـهم وقد ارتفع السعر - إما لقلة الشيء وإما لكثرة الخلق - فهذا إلى الله ، فإلزام الــنــاس أن يبيعوا بقيمة بعينها إكراه بحق.
وأما الثاني : فمثل أن يمتنع أرباب السلع من بيعها - مع ضرورة الناس إليها - إلا بزيادة على القيمة المعروفة ؛ فهنا يجب عليهم بيعها بقيمة المثل ، ولا معنى للتسعير إلا إلزامهم بقيمة المثل، والتسعير هاهنا إلزام بالعدل الذي ألزمهم الله به، فالـتـسـعـير في مـــثــل هذا واجب بلا نزاع ، وحقيقته إلزام

بالعدل ومنع من الظلم ، وهذا كما أنه لا يجوز الإكــراه على البيع بغير حق ، فيجوز أو يجب الإكراه عليه بحق.

-6-

إلا أن التسعير ليس قاعدة عامة في المعاملات المالية - كما سبق - فلا يلجأ إليه ولي الأمر إلا إذا دعت الحاجة ، وقد ذكر بعض الباحثين. أربع حالات تتدخل فيها الدولة بتسعير السلع ، بل بإجبار أصحابها على بيعها ، وهي نموذج لحالات أخرى تتحقق المصلحة فيها بالتسعير :

1 - حاجة الناس إلى السلعة.
2 - الاحتكار.
3 - حالة الحصر (حصر البيع بأناس مخصوصين).
4 - حالة تواطؤ البائعين (22).

-7-

فإذا اقتضت المصلحة والعدل التسعير ، فإن واجب ولي الأمر أن يفعل ذلك ، ولكن يجب أن يحقق هذا السعر العدالة ، وأن لا يكون مجحفاً بأحد الطرفين : البائع والمشتري ، وأن لا يدخل على أحدهما الضرر ، وبذلك يتحقق السعر الصالح الذي يسمح بعلاقات أخوية بين البائع والمشتري " (23) ، ولتحقيق ذلك يستعين بأهل الخبرة والرأي.

وقال ابن حبيب من فقهاء المالكية ، في صفة التسعير : "ينبغي للإمام أن يجمع وجوه أهل سوق ذلك الشيء ويحضر غيرهم استظهاراً على صدقهم ، فيسألهم : كيف يشترون؟ وكيف يبيعون؟ فينازلهم إلى ما فيه لهم وللعامة سداد حتى يرضوا به... وعلى هذا أجازه من أجازه. ووجه ذلك : أن بهذا يتوصل إلى معرفة مصالح الباعة والمشترين ، ويجعل للباعة في ذلك من الربح ما يقوم بهم ولا يكون فيه إجحاف بالناس... " (24).

وجماع الأمر :

أن مصلحة الناس إذا لم تتم إلا بالتسعير سعر عليهم تسعير عدل ، لا وَكْس فيه ولا شطط - لا نقصان ولا زيادة - وإذا اندفعت حاجتهم وقامت مصلحتهم بدونه لم يفعل. وبالله التوفيق .

الهوامش :

1- انظر المصباح المنير: 1/277 ، وراجع مادة "سعر" في لسان العرب وأساس البلاغة.
2- رسائل مفتي زادة نقلاً عن:الملكية في الشريعة ، د. عبد السلام العبادي : 2/ 301.
3 - الطرق الحكمية ، لابن القيم ، ص (387) ، طبعة محي الدين عبد الحميد.
4 - نيل الأوطار للشوكاني : 5 / 335 ، دار الجيل ، بيروت.

5 - انظر: الهداية للمرغيناني مع فتح القدير والعناية :8/127 ، بدائع الصنائع 6/297 ، حاشية ابن عابدين :6/399-400 ، المغني لابن قدامة:4/239-240 ، منتهى الإرادات : 2 /159 ، الأحكام السلطانية للماوردي : ص (256) ، المحلى لابن حزم : 9 /672 ، سبل السلام للصنعاني:3/32 .
6 - أخرجه أبو داود في الإجازات ، باب التسعير: 5/92 ، والترمذي في البيوع ، باب ما جاء في التسعير ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في التجارات ، باب من كره أن يسعِّر: 2/471-472 ، وصححه ابن حبان ، ص (271) من موارد الظمآن ، وعزاه في تحفة الأحوذي لأبي يعلى والبزار.
7 - المغني لابن قدامة: 4/240 وانظر: سبل السلام : 3/32.
8 - الموطأ للإمام مالك ، ص (279) من رواية الإمام محمد بن الحسن ، و (651) من رواية يحيى الليثي.
9 - انظر: الطرق الحكمية لابن القيم ، ص (298) ، المغني 4/240 ، المحلى لابن حزم :9/673.
10- الطرق الحكمية ، ص (300).
11 - العناية للبابرتي على الهداية للمرغيناني :8/127.
12 - المغني لابن قدامة:4/240
13 - انظر: الخراج لأبي يوسف ، ص (52 - 53).
14- أخرجه ابن ماجه في التجارات :2/728 وفي إسناده : على بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف ، وعزاه في نصب الراية: 4/ 261 لإسحاق بن راهويه والدارمي وعبد بن حميد وأبو يعلى في مسانيدهم ، والبيهقي ، ورواه العقيلي في الضفاء ، وأخرج مسلم في البيوع ، باب تحريم الاحتكار في الأقوات عن معمر بن عبد الله العدوي : (لا يحتكر إلا خاطئ).
15 - الطرق الحكمية ، ص (298) ، آراء ابن تيمية في الدولة... للأستاذ محمد المبارك ، ص (121).
16 - الطرق الحكمية ، (303 - 304).
17 - عارضة الأحوذي شرح الترمذي ، لابن العربي.
18 - المحلى لابن حزم : 9/674 .
19 - شرح الزرقاني على الموطأ: 3/299.
20 - انظر: الهداية وشروحها ، 8/127 ? حاشية ابن عابدين:6/400-401
21 - الطرق الحكمية ، ص (307) ، آراء ابن تيمية ، ص (124) ، وظاهر الأحاديث لا تفرق بين الطعام وغيره ، والضرر يكون بإغلاء ثمن الطعام وغيره من الحاجيات.
22 - انظر الطرق الحكمية ، ص (285-287).

23 - الإسلام والتنمية الاقتصادية ، تعريب نبيل صبحي ، ص (44) ، وانظر:المبادئ الاقتصادية والبناء الاقتصادي للدولة ، ص (71- 76) ، الهداية وشروحها في الفقه الحنفي: 7/127.
24 - انظر: المنتقى للباجي ، شرح موطأ الإمام مالك :5/19.

شذرات وقطوف

الخلق العظيم

إعداد : نجوى محمد الدمياطي

قال الإمام أحمد حدثنا أسود ، حـدثـنـا شريك عن قيس بن وهب عن رجل من بني سواد قال : سـألـت عائـشــة عن خـلــق رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت : أما تقرأ القرآن؟((وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) قال: قلت حدثيني عن ذاك ، قال : صنعت له طعاماً ، وصنعت له حفصة طعاماً، فقلت لجاريتي : اذهبي ، فإن جاءت هي بالطعام فوضعته قبل فاطرحي الطعام ، قالت:
فجاءت بالطعام قالت : فألقته الجارية فوقعت القصعة فانكسرت (وكان نطع) قالت : فجمعه رسول اللة -صلى الله عليه وسلم- وقال :
" اقتصوا ، أو اقتصي (شك أسود) ظرفاً مكان ظرفك " ، قالت : فما قال شيئاً.

تفسير القرآن العظيم - ابن كثير 4 / 402

الْمُشَرِّع

فى لغة العلم الشرعي فإن هذا المعنى لا تجد إطلاقه في حق النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا في حق عالم من علماء الشريعة المطهرة،.. فلا يقال لبشر: شارع ولا مشرع، وفي نصوص الكتاب والسنة إسناد التشريع إلى الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ((شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وصَّى بِهِ نُوحاً والَّذِي أَوْحَيْنَا إلَيْكَ)) وفي الحديث أنه -صلى الله عليه وسلم- قـال : » إن الله شرع لنبيكم سنن الهدى « رواه مسلم ، لهذا فإن قصر إسناد ذلك إلى الله سبـحـانــه وتـعـالـى أخذ في كتاب علماء الشريعة على اختلاف فنونهم صفة التقعيد فلا نرى إطلاقه على بشر حسب التتبع.

معجم المناهي اللفظية-للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد

صراع اجتماعي

من أهم الحقائق المفترضة في صـراعـنـا مــع الجاهلية أنه صراع اجتماعي ، قائم بين واقع إسلامي وواقع جاهلي.

وافتراض هذه الحقـيـقـة يحـتـم أن يدخل المسلمون بتلك الصفة الاجتماعية في كل مراحل الصراع .. من لحظة الاستضعاف إلى فرصة التمكين ووقت الامتداد ..
ففي بيت الدعوة تنشأ الحدود الفاصلة بين الصواب والخطأ بمقياس الدعوة في حياة الدعاة ، مثل الحد بين زيـنـة الله التي أخرج لعباده والترف المحظور، وبين السكن إلى الزوجة والـركـون إلـيـهـا، وبين السعي المشروع للرزق والانشغال المنهي عنه بالمال، وبـيـن الحـب الفطري للذرية وبين الافتتان بها ..
وفي بيت الـدعـوة تكون حياة الكفاح منبعاً للحب لا يجف بين الزوجين ، فالحياة في بيت الدعوة إما لحظة وداع وأمل ، أو لحظة حنين وشوق ، أو لحظة لقاء وفرحة ، فهي حياة طيبة ، وعيشة راضية ، وعمر مبارك ، ووقت مليء.
بيت الدعوة - رفاعي سرور

بحوث

اعتقاد أهل السنة في الصحابة (2)

محمد الوهيبي

3 -إن سب صحابياً لم يتواتر النقل بفضله سباً يطعن في الدين ... بـيـنـا في الفقرة السابقة رجحان تكفير من سب صاحبياً تواترت النصوص بفضله من جهة دينه . أمـا إن لم تتواتر الـنـصـوص بفضله فقول جمهور العلماء بعدم كفره ، وذلك لعدم إنكاره معلوماً مـن الـديــن بالضرورة إلا أن يسبه من حيث الصحبة.
4 -إن سـب بعـضـهـم سباً لا يطـعـن في دينهم وعدالتهم... فلا شك أن فاعل ذلك يستحق التعزير والتأديب ، ولكن وحسب مـطـالـعتي لأقوال العلماء في المراجع المذكورة لم أر أحداً منهم يكفر فاعل ذلك " ولا فرق عندهم بين كبار الصحابة وصغارهم ".
قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ".. وأما إن سبهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة الـعـلـم أو عدم الزهد ونحو ذلك فهو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك ، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العالم"(1)
وذكر أبو يعلى من الأمثلة على ذلك : "اتهامهم بقلة المعرفة بالسياسة (2).

ومما يشبه ذلك اتهامهم بضعف الرأي، وضعف الشخصية والغفلة وحب الدنيا ونحو ذلك وهذا النوع من الطعن تطفح به كتب الـتـاريـخ وكذلك الدراسات المعاصرة لبعض المنسوبين لأهل السنة باسم الموضوعية والمنهج العلمي وللمستـشـرقين أثر في غالب الدراسات من هذا النوع.
ولعل من المناسب هنا أن نقف وقفة قصيرة جداً نبين فيها فساد هذا المنهج وخطورة تطبيقه عـلـى تـاريخ الصحابة، ونبدأ ذلك بالتعريف بالمنهج الموضوعي عند الغربيين، الـمـنـهـج الموضوعي "أن يبحث الموضوع بحثاً عقلياً مجرداً بعيداً عــن التـصـورات الديـنـيـة" (3)، فنقول رداً على ذلك :
أ- المسلم لا يمكن أن يتجرد عن عقيدته بأي حال من الأحوال إلا أن يكون كافراً بها (4).
ب- وكذلك نقول بالنسبة للتاريخ الإسلامي : إذا ثبتت الحوادث في ميزان نقد الرواية فبأي منهج نفهمها ونفسرها؟ إذا لم نفسرها بالمنهج الإسلامي فلا بد أن نختار منهجاً آخر فنقع في الانحراف من حيث لا نعلم وبناء على ذلك يجب أن نحذر من تطبيق هذا المنهج على تاريخ الصحابة ويجب أن نعلم أيضاً "أن ما يسمى بالنقد العلمي أو الموضوعي لتاريخ الصحابة هو السب الوارد في كتب أهل البدع وفي كتب الأخبار ، وتسميته بالمنهج العلمي لا يخرجه عن حقيقته التي عرف بها عند أهل السنة ، وأيضاً تسميته بذلك لا تعلي من قيمته ، كما لا يعلي من قيمته أن يردده كُتَّاب مشهورون ، وفيهم أولوا فضل وصلاح ، وإنما كل ما فعله المحدثون أن أحيوا هذا السب الذي أماته أهل السنة لما كانت الدولة دولتهم (5).
والذي أوصي به نفسي وإخواني الباحثين في تاريخ الصحابة أن لا يتخلوا عن عقيدتهم -ومنها الاعتقاد بعدالة الصحابة وتحريم سبهم -عند بحثهم ، فالله أن يؤتى الإسلام من قبلهم ، وليعلموا أن لأهل السنة منهجاً واضحاً في النظر إلى تلكم الأخبار كما سيأتي في آخر البحث.
5- سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه...أجمع أهل العلم على أن من سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فقد كفر قال القاضي أبو يعلى : "من قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه كفر بلا خلاف. وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم فروي عن مالك "من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل " قيل له : لِمَ؟ قال : من رماها فقد خالف القرآن (6). وقال ابن شعبان في روايته عن مالك لأن الله تعالى يقول:((يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)) فمن عاد لمثله فقدكفر" (7).
والأدلة على كفر من رمى أم المؤمنين صريحة وظاهرة الدلالة منها:
أ- ما استدل به الإمام مالك أن في هذا تكذيباً للقرآن الذي شهد ببراءتها ، وتكذيب ما جاء به القرآن كفر. قال الإمام ابن كثير : " وقد أجمع العلماء

رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكره في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن (8) ، وقال ابن حزم تعليقاً على قول الإمام مالك السابق : " قول مالك هاهنا صحيح ، وهي ردة تامة وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها " (9).
ب -أن فيه إيذاء وتنقيصاً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- من وجوه دل عليها القرآن الكريم.
1- فرق ابن عباس رضي الله عنهما بين قوله عز وجل:((والَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ)) ... الآية سورة النور ، وبين قوله عز وجل :((إنَّ الَذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ المُؤْمِنَاتِ)) ... الآية سورة النور ، فقال عند تفسير الآية الثانية : " هذه في شأن عائشة وأزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- خاصة وهي مبهمة ليس فيها توبة. ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ:((والَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ)) إلى قوله:((إلاَّ الَذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وأَصْلَحُوا)) فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة.
قال فَهَمَّ رجل أن يقوم فيقبل رأسه من حسن ما فسر "فقد بين ابن عباس أن هذه الآية إنما أنزلت فيمن قذف عائشة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن لما في قذفهن من الطعن على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعيبه فإن قذف المرأة أذى لزوجها كما هو أذى لأبيها لأنه نسبة له إلى الدياثة وإظهار لفساد فراشه. وأن زنا امرأته يؤذيه أذى عظيماً... ولعل ما يلحق بعض الناس من العار والخزي بقذف أهله أعظم مما يلحقه لو كان هو المقذوف" (10).
2-وإيذاء رسول الله-صلى الله عليه وسلم-كفر بالإجماع ، قال القرطبي عند قوله تعالى:((يَعِظُكُمُ اللَّهُ أنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً)) [النور] ، يعني في عائشة لأن مثله لا يكون إلا نظير القول في المقول عنه بعينه ، أو فيمن كان في مرتبته من أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- لما في ذلك من إذاية رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في عرضه وأهله وذلك كفر من فاعله" (11).
ومما يدل على أن قذفهن أذى للنبي -صلى الله عليه وسلم- ما خرجاه في الصحيحين في حديث الإفك عن عائشة قالت : فقام رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فاستعذر عن عبد الله بن أبي بن سلول قالت : فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي...
فقوله : من يعذرني أي من ينصفني ويقيم عذري إذا انتصفت منه لما بلغني من أذاه في أهل بيتي والله لهم.
فثبت أنه -صلى الله عليه وسلم- قد تأذى بذلك تأذياً استعذر منه وقال المؤمنون الذين لم تأخذهم حمية : مرنا نضرب أعناقهم فإنا نعذرك إذا أمرتنا

بضرب أعناقهم ، ولم ينكر النبي -صلى الله عليه وسلم- على سعد استئماره في ضرب أعناقهم" (12).
قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : "ومن يقذف الطاهرة الطيبة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين -صلى الله عليه وسلم- في الدنيا والآخرة لما صح ذلك عنه فهو من ضرب عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ولسان حال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول : " يا معشر المسلمين من يعذرني فيمن آذاني في أهلي" (13) ((وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وإثْماً مُّبِيناً)) [الأحزاب / 58] ، فأين أنصار دينه ليقولوا نحن نعذرك يا رسول الله ؟..."(14).
3-كما أن الطعن بها رضي الله عنها فيه تنقيص برسول الله -صلى الله عليه وسلم- من جانب آخر ، حيث قال الله عز وجل:((الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ)) [الآية من سورة النور] ، قال ابن كثير: " أي ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا وهي طيبة لأنه أطيب من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لما صلحت له لا شرعاً ولا قدراً ولهذا قال تعالى: ((أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ)) أي هم بعداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان " (15).

5 - سب بقية أمهات المؤمنين..

اختلف العلماء في قذف بقية أمهات المؤمنين ، والراجح الذي عليه الأكثرون كفر فاعل ذلك ، "لأن المقذوفة زوجة الرسول -صلى الله عليه وسلم- والله تعالى إنما غضب لها لأنها زوجة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهي وغيرها منهن سواء"(16).
وكذلك يكفر لأن في ذلك تنقيص وأذى لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقذف حليلته (17) ، وقد بينا ذلك عند كلامنا عن حكم من قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فليراجع.
أما إن سب أمهات المؤمنين سباً غير ذلك فحكمهن حكم سائر الصحابة على التفصيل المذكور سابقاً. والله أعلم.

6 - لوازم السب :

تيقظ السلف الصالح رضوان الله عليهم لخطورة الطعن في الصحابة وسبهم ، وحذروا من الطاعنين ومقاصدهم ، وذلك لعلمهم بما قد يؤدي إليه ذلك السب من لوازم باطلة تناقض أصول الدين.
فقال بعضهم كلمات قليلة لكنها جامعة أذكرها في مقدمة هذا البحث ثم أوضح -بعض الشيء - ما يترتب على السب غالباً.
وسأركز في الرد على السابة من القسم الأول والثاني ممن يزعمون كفر أو فسق مجموع الصحابة أو أكثرهم أو الطعن في عدالة من تواترت النصوص بفضله كالخلفاء رضي الله عنهم. قال الإمام مالك -رحمه الله- عن هؤلاء :

"إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه ، حتى يقال رجل سوء ، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين" (18) ، وقال الإمام أحمد رحمه الله : "إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام" (19).
وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله : "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فأعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ? وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة" (20). وقال الإمام أبو نعيم رحمه الله : "فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وزللهم ويحفظ عليهم ما يكون منهم في حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه" (21) ويقول أيضاً: ".. لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته والإسلام والمسلمين" (22) ، وتحذير العلماء هنا عام يشمل جميع الصحابة ، وتأمل قول إمام أهل السنة : "يذكر أحداً من الصحابة بسوء" وقول أبي زرعة : "ينتقص أحداً.." فحذروا من ينتقص (مجرد انتقاص) أو ذكر بسوء (وذلك دون الشتم أو التكفير) أحداً (وليس جميعهم) فماذا يقال فيمن يسب أغلبهم؟ وإليك أخي القارئ إيضاح بعض لوازم السب:
1 - يترتب على القول بكفر وارتداد معظم الصحابة أو فسقهم إلا نفراً يسيراً الشك في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، وذلك لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول ، إذ كيف نثق بكتاب نقله إلينا الفسقة والمرتدون - والعياذ بالله - ولذلك صرح بعض أهل الضلال والبدع ممن يسب الصحابة بتحريف الصحابة للقرآن والبعض أخفى ذلك ، وكذلك الأمر بالنسبة للأحاديث النبوية ، فإذا اتهم الصحابة رضوان الله عليهم في عدالتهم صارت الأسانيد مرسلة مقطوعة لا حجة فيها. ومع ذلك يزعم - بعض هؤلاء - إيمانهم بالقرآن ، فنقول لهم: يلزم من الإيمان به الإيمان بما فيه ، وقد علمت أن الذي فيه أنهم خير الأمم وأن الله لا يخزيهم وأنه رضي عنهم... إلخ ، فمن لم يصدق ذلك فيهم ، فهو مكذب لما في القرآن ناقض لدعواه.
2-هذا القول يقتضي أن هذه الأمة - والعياذ بالله - شر أمة أخرجت للناس ، وسابقي هذه الأمة شرارها ، وخيرها القرن الأول كان عامتهم كفاراً أو فساقاً ، وأنهم شر القرون (23) ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم.
3 - يلزم من هذا القول أحد أمرين ، إما نسبة الجهل إلى الله - تعالى عما يصفون-أو العبث في هذه النصوص التي أثني بها على الصحابة ، فإن كان الله عز وجل -تعالى عن قولهم- غير عالم بأنهم سيكفرون ومع ذلك أثنى عليهم ووعدهم الحسنى فهو جهل والجهل عليه تعالى محال ، وإن كان الله عز وجل

عالماً بأنهم سيكفرون فيكون وعده لهم بالحسنى ورضاه عنهم عبث ، والعبث في حقه محال (24) ، ويتبع ذلك الطعن في حكمته عز وجل حيث اختارهم واصطفاهم لصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام فجاهدوا معه وآزروه ونصروه واتخذهم أصهاراً له حيث زوج ابنتيه ذا النورين (عثمان) رضي الله عنه ، وتزوج ابنتي أبي بكر وعمر ، فكيف يختار لنبيه أنصاراً وأصهاراً مع علمه بأنهم سيكفرون؟!!

4-لقد بذل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- جهوداً خارقة في تربية الصحابة على مدى ثلاثة وعشرين عاماً حتى تكوَّن بفضل الله عز وجل المجتمع المثالي في خلقه وتضحياته وزهده وورعه فكان -صلى الله عليه وسلم- أعظم مرب في التاريخ. ولكن بالعكس من ذلك فإن جماعة تدعي الانتماء إلى الإسلام ونبي الإسلام تقدم لهذا المجتمع صورة معاكسة تهدم المجهودات التي قام بها النبي -صلى الله عليه وسلم- في مجال التربية والتوجيه ، وتثبت له إخفاقاً لم يواجهه أي مصلح أو مرب خبير مخلص (25) لم يكن مأموراً من الله كما كان الشأن مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم- إنها ترى أن المجهودات الجبارة التي بذلها محمد -صلى الله عليه وسلم- لم تنتج إلا ثلاثة (أو أربعة وفقاً لبعض الروايات) ظلوا متمسكين بالإسلام إلى ما بعد وفاته -صلى الله عليه وسلم- أما غيرهم فقد قطعوا صلتهم بالإسلام - والعياذ بالله - فور وفاته -صلى الله عليه وسلم- فأثبتوا أن صحبة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتربيته أخفقت ولم يعد لها أي تأثير. وهذا الزعم يؤدي إلى:

أ - اليأس من إصلاح البشرية.

ب - وعدم الثقة بالمنهج الإسلامي وقدرته على التربية وتهذيب الأخلاق.

ج -وإلى الشك في نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- وذلك أن الدين الذي لم يستطع أن يقدم للعالم عدداً وجيها من نماذج عملية ناجحة بناءة ، ومجتمعاً مثالياً في أيام الداعي وحامل رسالته الأول ، فكيف يستطيع أتباعه ذلك بعد مضي زمن طويل على عهد النبوة؟! وإذا كان المؤمنون بهذه الدعوة لم يستطيعوا البقاء على الجادة القويمة ولم يعودوا أوفياء لنبيهم -صلى الله عليه وسلم- بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، فلم يبق على الصراط المستقيم الذي ترك عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- أتباعه إلا أربعة فقط؛ فكيف نسلم أن هذا الدين يصلح لتزكية النفوس وبناء الأخلاق؟ وأنه يستطيع أن ينقذ الإنسان من الهمجية والشقاء ويرفعه إلى قمة الإنسانية؟ بل ربما يقال : لو أن النبي -صلى الله عليه وسلم-كان صادقاً في نبوته لكانت تعاليمه ذات تأثير ، ووجد هناك من آمن به من صميم القلب ووجد من بين العدد الهائل ممن آمنوا به بعض المئات الذين ثبتوا على الإيمان ، فإن كان أصحابه -سوى بضع رجال منهم - منافقين ومرتدين - فيما زعموا - فمن دان بالإسلام ؟ ومن انتفع بالرسول -صلى الله عليه وسلم-؟ وكيف يكون رحمة للعالمين؟! (26).

العلم والعمل

قال حكيم لرجل يستكثر من العلم دون العمل :
" يا هذا إذا أفنيت عمرك في جمع السلاح ، فمن تقاتل به ؟"

الهوامش :

1 - الصارم المسلول : 591.
2- نفسه 576.
3 - راجع منهج كتابة التاريخ ، العلياني 138 (بتصرف).
4- راجع في تفصيل ، وفي الرد على دعوى الموضوعية بحث مخطوط للدكتور محمد رشاد خليل ، ص34-37 .
5 - راجع أيضاً البحث القيم للدكتور محمد رشاد خليل فمنه أخذت هذه الفقرة ، ص 55 ، 57، وفي البحث المذكور أبرز المؤلف المنهج الصحيح للنظر في تاريخ الصحابة من خلال مذهب أهل السنة فجزاه الله خيراً.
6 - الصارم المسلول ، 571.
7 - الشفا ، م 2 ، ص 1109.
8 - ابن كثير 3/276 عند تفسير قوله تعالى:((إنَّ الَذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ)) وذكر الإجماع في البداية والنهاية 8/92 .
9 - المحلى : 11 / 415.
10 - الصارم المسلول ، ص 45. تفسير القرطبي 12/209 ، ابن كثير 3/276 .
11 - القرطبي : 12/205.
12- الصارم المسلول : 47 ، 49.
13 - 14 - رسالة في الرد على الرافضة ، ص 25 ، 26.
15 - ابن كثير: 3/278.
16 - البداية والنهاية 8/93.
17 - الشفا:2/1113 وراجع أيضاً الصواعق المحرقة/387 ، المحلى 11/415.
18 - رسالة في سب الصحابة ، 47.
19 - البداية والنهاية 8/139.
20 - الكفاية للخطيب البغدادي ، 97.
21 - الإمامة لأبي نعيم / 344.
22 - نفسه /376.
23 - انظر الصارم المسلول / 592.
24 - انظر اتحاف ذوي النجابة: محمد بن العربي التباني / 75.

25 - صرح بعض من تولى كبر تلكم المزاعم والتهم والضلالات أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم ينجح وأن الذي ينجح في ذلك المهدي الغائب (أي مهديهم) راجع الرسل والرسالات للأشقر/ 212 ، 213.
26 - صححه الألباني بطرقه وشواهده : السلسلة الصحيحة1/34.

منبر الشباب

لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

حكمت الحريري

"اللهم لا تعذب لساناً يخبر عنك ، ولا عـيـنـاً تنظر إلى علوم تدل عليك ، ولا قدماً تمشي إلى خدمتك ، ولا يداً تكتب في سبيلك ، فبعزتـك لا تـدخـلـنـي النار". قلت : ويرحم الله عبداً قال آمينا.
هــذا مــا أورده الأستاذ النواوي في مقدمة كتابه"رؤية إســلامـيـة فـي الـصـراع الـعـربـي الإسرائيلي".
كم كان مؤثراً في نفسي ذلك الدعاء ، وكم استوقفتني تلك الكلمات ، فالدعاء توفيق من الله الذي تتم بـنـعـمـتـه الصالـحــات ، يا رب لا تعذب لساناً يخبر عنك... ولا يداً تكتب في سبيلك..
وإن من بيـن الأيادي التي كتبت في سبيل الله أحد الأفراد القلائل من الدعاة الذين باعوا نـفـوسـهم لله ولم يسترخصوها لغير دين الله عز وجل،ذلك الداعية الذي صـنـف كـتـاب "الإسلام بيـن الـعـلـمـاء والـحـكـام" ثم كان مصيره عليه رحمة الله مصير القلة الذين كان موضوع كتابه عنهم حيث كان معـجـبـاً بموقفهم وقد عمل بما علم ، وما ذكره نظرياً عاشه عملياً فهنيئاً لمن شرح صدره للإسلام.
فقد كتب عليه رحمة الله عن محنة كثير من العلماء العاملين وبين مواقفهم من الحكام عن سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وجعفر الصادق، وأبي حنيفة، ومالك، والشـافـعـي، وأحمد ، والبخاري ، والعزبن عبد السلام ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ،ولقد هممت بوضع ملخص لذلك الكتاب في بضع صفحات ولكني وجدت أن الملخص يخل بالموضوع فلا بد لمن أراد أن يعرف الحقيقة بعين اليقين ، لا بد له من الرجوع إلى الكتاب فالخلاصة لا تغني عن الأصل.
وأحببت إذ فاتني ذلك في "البيان" - أي ذكر الملخص - ألا أدع الفرصة تفوتني لأتحدث عن بعض المواقف التي ذكرها رحمه الله تعالى وأضيف إليها ما شاء الله لي أن أضيفه من ذلك.
ومن بين الذين كتب عن محنتهم ومواقفهم من الحكام ، الإمام البخاري أمير المؤمنين في الحديث ، الذي نذر حياته لجمع حديث رسول الله-صلى الله

عليه وسلم- ، وتمييز صحيحه من ضعيفه ، وطاف البلاد الإسلامية لهذا الغرض.
كانت محنة الإمام البخاري على يد أمير خراسان " خالد بن أحمد الذهلي " الذي طلب منه وهو في بلده بخارى أن يحضر إليه ليسمع أولاده منه ، فأبى أن يذهب ، وقال : في بيتي يؤتى العلم.
وأراد الأمير أن ينفر الناس عن السماع منه فلم يستجيبوا لذلك ، ثم أمر بنفيه من بلده إلى "خرتنك" وهناك مرض ومات على أثر ذلك في ليلة عيد الفطر ، رحمه الله تعالى.
ولكن الخير لا ينقطع من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحاب المروءة والنخوة لم ينتهوا في هذه الأمة إلى يوم القيامة بحول الله وقوته. فعندما وصل خبر محنة البخاري إلى بغداد تضجر الناس واهتزت ضمائرهم وغضبوا لما نزل بالعالم الورع التقي الزاهد ، وبقي الأمر في نفس الموفق بن المتوكل أخي الخليفة المعتمد ، يتحين الفرصة المناسبة للانتقام لأمير المؤمنين في الحديث من ذلك الظالم.
ولما دخل موسم الحج وصل أمير خراسان خالد بن أحمد الذهلي إلى بغداد وما إن بلغ الموفق خبر وصوله حتى أمر باعتقاله مخفوراً ثم طرح في السجن حتى مات.
وأما سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى فله مواقف سجلها تاريخ الإسلام ولا تزال موضع فخر واعتزاز لكل من شهد لله بالوحدانية ولمحمد -صلى الله عليه وسلم- بالنبوة والرسالة.
وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فلم تكن محنته بأيسر من غيرها وما جرى له من محن وابتلاءات يطول الحديث عنها ، وقد سارت بذكره الركبان رحمه الله تعالى ، وما وجدت عالماً من العلماء المنصفين يكتب عن المجددين إلا وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ، ولم يكتب أحد عن الأعلام إلا وكتب عنه رحمه الله ، وقد أفردت في سيرته مصنفات عظيمة ، ولا حاجة بنا إلى ذكر شيء من سيرته أو محنته في هذا المقال ، ولكني أحيل على بعض ما كتبه عنه العلماء مثل : سير أعلام النبلاء للذهبي ، والبيطار في كتابه " حياة شيخ الإسلام " والندوي.. والمودودي ، وابن حجر.. وغيرهم كثير .
هذا ما ذكره مصنف كتاب "الإسلام بين العلماء والحكام" رحمه الله تعالى رحمة واسعة.
وأضيف إلى تلك السير محنة الإمام النووي رحمه الله تعالى وخلاصتها أن الظاهر بيبرس أراد أن يجمع المال من الناس لصد خطر التتار الزاحف على بلاد الشام ، وكان يحتاج إلى المال والعتاد لمقابلة الغزاة وصدهم ، وأخذ السلطان فتوى العلماء بتأييد عمله فكتبوا له وأفتوه بما أراد ما عدا الإمام النووي بقي متمسكاً برأيه ممتنعاً عن فتواه بهذا الأمر ، وقد كان كثير النصح

للسلطان ، ولكن السلطان رد النصيحة في هذا الموضوع أي بجمع المال ، فالخطر الداهم شديد وفساد التتار وتخريبهم لبغداد وغيرها لم يكن خافياً عليهم ، وعندما وجده مصراً على عدم فتواه استدعاه ، وهنا كان جواب النووي ، ورده على السلطان -عنيفاً وقال له :
"أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير بندقدار وليس لك مال ثم مَنَّ الله عليك وجعلك ملكاً وسمعت أن عندك ألف مملوك ، كل مملوك له حياصة من ذهب ، وعندك مائة جارية لكل جارية حق من الحلي فإن أنفقت ذلك كله وبقيت مماليك بالبنود الصوف بدلاً من الحوائص ، وبقيت الجواري بثيابهن ، دون الحلي أفتيتك بأخذ المال من الرعية".
فغضب الظاهر من جواب النووي وقال له : اخرج من بلدي -أي دمشق - فخرج إلى بلده نوى بحوران التي هي مسقط رأسه ، فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا. وممن يقتدى به فأعده إلى دمشق ، فرسم برجوعه ، ولكن الشيخ امتنع ، وقال : والله لا أدخلها والظاهر بها فمات الظاهر بعد شهر.
ومنذ بضعة عشر عاماً كان للشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى موقفاً شبيهاً بهذه المواقف ، من حيث الرجولة والصدع بكلمة الحق وقد كلفه ذلك الموقف حياته ، وأمثال الذهبي الذين قدموا أرواحهم في سبيل الله كثر نسأل الله أن يجعل أعمالهم خالصة لوجهه الكريم ، ولكن لم تكن الشعوب التي شهدت موقف الذهبي وغيره في عصرنا ، لم تكن مواقفها هي مواقف الشعوب التي عاصرت محنة النووي والعز بن عبد السلام وابن تيمية.
فلم تهتز ضمائرهم لإهانة هؤلاء العلماء وإيذائهم مثلما اهتزت ضمائر أولئك الناس في عهد النووي وغيره. هذه أمثلة من تاريخنا الإسلامي العريق ،((إنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيدٌ)) .

البيان الأدبي

نظرة في منهج تاريخ الأدب

د. عبد الله خلف

إن الناظر في كتب تاريخ الأدب الحـديـثـة لـيـعـجـب ممــا يجده فيها من أحكام يصدرها مؤلفوها على المجتمعات الإسلامية الأولى ، وما تشير إليه مــن شيوع مظاهر اللهو والعبث والمجون ، علاوة على ما تضمنته من مبالغات في حديثها عــن الجوانب السلبية في حياة الأفراد ، مما يدفع المرء إلى التساؤل بإلحاح عن مدى صحة تلك الأحـكـام . ولا سيما أننا نرى أولئك الدارسين يشيرون إلى أنهم اعتمدوا في ذلك على مصادر مـشـهــورة مــن

كـتـب التراث ، قاصدين إضفاء الصفة العلمية عليها ، وإحاطتها بهالة من التوثيق.
وبذلك أصـبـحـت كـتـب الـتــراث بما تتضمنه من ثروة خبرية وهائلة مصدراً - لكثير من الدراسات التي شوهت معالم التاريخ الإسلامي في جوانبه السياسية والاجتماعية والثقافية بسبب البعد عن المنهج العلمي في التعامل مع النصوص.
لقد تعرض تاريخنا منذ العصور الأولى ولا زال يتعرض لحملة تشويه كبرى ، تمثلت قديماً في وضع طائفة كبيرة من الأخـبـار والحـكـايــات الـتـي تخــدم أهل الأهواء على اختلاف اتجاهاتهم ، وتمثلت في العصر الحاضر في الدراسات التي استندت إلى تلك الأخبار ، ولم يــعــد من العسير على الذين يتبنون آراء شاذة، أو يريدون تشويه معالم الصورة المـشـرقــة لتاريخنا أن يجدوا من الأخبار ما يسندون به وجهات نظرهم. كما أن كثيراً من الباحثـيـن الذين لم ينطووا على نوايا سيئة وقعوا في التخليط ، ووصلوا إلى نتائج غير سليمة ، بسبب تـأثـرهـم بـدراســات الآخــريـن من جهة، وبسبب عدم اتباعهم منهجاً علمياً يمكنهم من الاستفادة من التراث من جهة أخرى.
ويكاد يكون من المتفق عليه أن كـتـب الـتـاريخ والأدب التراثية تحتوي على عدد كبير من الأخبار والحكايات الباطلة ، وأن الذين صـنـفـوا في هذين الموضوعين حشدوا في كتبهم ما وصل إليهم منها دون تمحيص إلا في القليل النادر. وممن أشار إلى ذلك أبو بكر بن العربي الـذي حـذر مـن روايــات المؤرخـيـن وأهــل الآداب لما يتضمنه كثير منها من الاستخفاف بالسلف (1)، ويقول ابن تيمية بعدما أثنى على أهل الحديث (2):" بـخـلاف الأخباريين فــإن كــثـيراً مما يـسـنـدونـه عن كذاب أو مجهول، وأما ما يرسلونه فظلمات بعضها فوق بعض".
وأخـذ الـنــووي على ابن عبد البر حـكـايـتـه عن الأخباريين ، لأن الغالب عليهم الإكثار والتخليط(3).
ولم يـقــتـصـر التحذير من روايــات الأخباريين على الـعلماء، فقد نص على هذا كثير من الأدباء. يقول الجاحظ مصوراً سهولة الكذب على الرواة وسهولة نشره (4) : "وما هو إلا أن ولد أبو مخنف حديثاً، أو الشرقي بن القطامي، أو الكلبي ، أو ابن دأب ، أو أبو الحسن المدائني ، ثم صوره في كتاب وألقاه في الوراقين إلا رواه من لا يحصل ولا يتثبت ولا يتوقف ، وهؤلاء كلهم يتشيعون"..
ويقول أحمد أمين (5) : "وجاء حماد وخلف الأحمر - كما سبق - وأمثالهما فعدوا من الظرافة أن يتزيدوا ، وتسابقوا في الوضع ، واستغلوا إعجاب الناس بالجديد الذي لم يسمع من قبل... فكان من ذلك ما أدركه المفضل الضبي من أن تمييز الصحيح من غير الصحيح أصبح بعد هؤلاء الكذبة المهرة عسيراً ومحالاً .

وتحدث زكي مبارك عن كتاب الأغاني مشيراً إلى خلق الأصفهاني الذي كان مسرفاً في اللذات والشهوات مما دفعه إلى الاهتمام بأخبار الخلاعة والمجون ، وإهمال الأخبار التي تصور الجوانب الجادة في حياة الأفراد والمجتمعات. ثم ذكر أن هذا الأمر أفسد كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا ، عليه (6) ، والأصفهاني نفسه الذي يعد كتابه أضخم مجموعة أخبارية في تاريخ الأدب يصرح بأن منهجه يقوم على جمع كل ما رواه الناس وتداولوه ، ولو كان كذباً ، لئلا يشذ عن الكتاب شيء مما تناقله الرواة.
وإذا كان الأمر على ما ذكرنا من كثرة الأخبار الباطلة ، وما يحمله كثير منها في طياته من تشويه لمعالم التاريخ الإسلامي في مختلف جوانبه ، أو لحياة بعض الأشخاص فإنه لا بد من الاحتراز وتحكيم العقل والمنطق في قبول الأخبار أو رفضها إذا كان إسنادها غير مقبول. وهذا أمر لا مفر للباحث منه إذا كان هدفه الوصول إلى الحقيقة ، وإلا فإنه سوف يسهم في ترسيخ الأخطاء وتشويه المعالم الصحيحة ، وسيكون خطؤه أعظم من خطأ السابقين الذين كانوا يروون الأخبار عالمين بأن فيها الغث والسمين متبرئين من عهدتها ، لأنه عندما يقبل ما رووه دون تحقيق سيكون بمثابة من يرى صحة ما احتوته تلك المصنفات ، وسيجد نفسه أمام كثير من الغرائب والمتناقضات فإن قبلها جميعاً وقع في التناقض. وإن قبل بعضها ورد بعضها دون تحقيق صار صاحب هوى ، وبذلك يكون قد ابتعد عن المنهج العلمي ، وفقد جانباً من أهم ما يتميز به المحققون.
ولا بد للباحث من الاستعانة بالأخبار ذات الإسناد المقبول لرسم الخطوط العامة ، والمعالم الرئيسية لموضوع البحث ، لكي تكون مقياساً يستعين به على قبول غيرها من الروايات أو رفضه ، ولا يمكن للباحث الاستغناء عن كل خبر لا يصح سنده لأننا في هذه الحال سنجد حلقات كثيرة مظلمة في تاريخ الأفراد أو التاريخ العام ، ولن نجد من الأخبار ذات الإسناد المقبول ما يكفي لإضاءتها. وسبب ذلك أن العلماء والرواة السابقين لم يكونوا يولون الإسناد أهمية إلا في الحديث النبوي وما يتصل به. أما ما عدا ذلك فلم يكونوا يرون بأساً في نقله وتداوله بدون إسناد ، أو بإسناد فيه بعض المتهمين. ومما يدل على ذلك ما ذكر عن إبراهيم بن الجنيد أنه سأل يحيى بن معين عن إبراهيم بن مناذر الشاعر ، فقال : لم يكن ثقة ولا مأموناً. قال له إبراهيم: إنما نكتب شعره وحكايات عن الخليل بن أحمد ، فقال: هذا نعم ، وأما الحديث فلست أراه له موضعاً(7).
وكــون الـخــبر من ذلك الـنـوع لا يعني القطع بعدم صحة مضمونه وليس أمامنا لكي نقرر قبوله أو رفضه إلا دراسة متنه وتحليله وتحكيم العقل فيه ومقارنته بالأخبار المقبولة.

وللنصوص الأدبية الإبداعية من شـعـر ونثر أهمية كبيرة في إضاءة بعض الجوانب من حياة الأفراد أو المجتمعات ، إذا ما تـمـت دراستها بمعزل عما حيك حولها من حكايات. ومن أمثلة ذلك أنه قد اشــتـهـر بين كـثـير من المعاصرين أن الاختلاط والسفور كانا شائعين في مـجـتـمــع الحجاز في العصر الأموي ، وأن النساء كن يبرزن للرجال ، ويتعرضن للشعراء ليتغزلوا بهن ويجلسن معهم مجالس السمر المختلطة حتى في غيبة أوليائهن. ويستدل هؤلاء على ذلك بالقصص والحكايات الباطلة. ويزعمون أن الشعر الحجازي ، ولا سيما شعر عمر بن أبي ربيعة يدل على صحة آرائهم.

بــيــد أن المتأمل في شــعر عمر وغيره من شعراء الحجاز المعاصرين له يدل على خلاف ما توهمه أولئك الدارسون، ومن ذلك ما نجده في شعر عمر من الحديث عن مغامراته الليلية، وتسلله تحت ستار الظلام للقاء من يحب حيث يبدو من يسعى إلى ذلك اللقاء بصورة الذي يريد أن يقدم على أمر شديد الخطر ، فهو لا بد أن يكون منتبهاً شديد الحذر، وأن يأخذ بجميع أسباب الحيطة لأن انكشاف ذلك الأمر سوف يسبب له المتاعب ، ويعرضه لخطر عظيم، وهو لا يستطيع الوصول إلى ما يريد في النهار، ولكنه يتسلل إليه في الظلام بعد أن ينام الحي ، ويغفل الرقباء ويهجع الحراس. والأمثلة التي تبين لنا ذلك من شعره كثيرة جداً لا يتسع المقام هنا لأكثر من واحد منها ، وهو قوله في رائيته المشهورة:

فـلـمـا فقدت الصوت منهم وأطفـئـت مــصــابـــيـــح شـــبـت بـالـعـشـاء وأنور
وغـــاب قـــمـــير كـنـت أرجـو غيوبه وروح رعـــيـــــان ونـــوم سُـــــــمَّـــر
وخفض عني الصوت أقبلت مشية الـ حباب(8) وشخصي-خشية الحي-أزور (9)

إن في تــصـوير الشعراء لمغامراتهم الليلية ما يكشف لنا عن إحساسهم العميق بالرقابة التي يفرضها المجتمع على الذين يريدون الخروج على أنظمته وقيمه وتقاليده ، وهذا يدل على مدى التحفظ الذي كان يسود المجتمع، ويوحي بما كان يهيمن على العلاقات بين الرجال والنساء من الجد والالتزام بالحدود الشرعية.

ولعل في هذا ما يدل بوضوح على أن النصوص الأدبية يمكن أن تساعد على الوصول إلى الحقيقة التي ينشدها الباحث في تاريخ الأدب.

وهناك خطأ آخر وقع فيه كثير من المعاصرين، وأدى إلى إصدارهم أحكاماً ، خاطئة في حق المجتمعات الإسلامية الأولى، وهو نقص الاستقراء، والتعميم الخاطئ حيث يعتمد الباحث على عـــدد قليل من المصادر ويهمل غيرها ، وإذا وجد بضعة أخبار حول أديب حكم من خــلالـهـا على حياته، دون أن يكلف نفسه عناء البحث والتنقيب عن غيرها، وقد يحكم على مـجـتـمع أو عصر

بكامله من خلال ما يقرؤه عن عدد قليل من الناس فيقع في التعميم الـخـاطــئ. وهــذا الأمر قد يكون بسبب ضعف همة الباحث ورغبته في الوصول إلى نتائج سريعة ، ولكنه ربـمــــا حدث بسبب سوء نيته وحبه للترويج لمظاهر أو أفكار منحرفة عن طريق ادعاء أنها كانت شائعة عند أسلافنا ، ولا مبرر لرفضها وإنكارها في العصر الحاضر.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الاهتمام بتحقيق الأخبار والاستقصاء والاستفادة من النصوص الأدبية لا يتنافى مع محاولات التنظير التي يهتم بها بعض الدارسين ، ولا مع ما يقومون به من دراسة وتفسير وتحليل لبعض الظواهر الأدبية ، إذ أن ذلك جزء مهم من الدراسات الأدبية الحديثة. ولكن تلك الـدراســات لــن تـكـون ذات قـيـمة علمية ما لم يكن الأساس النصوصي الذي بنيت عليه سليماً مقبولاً .

الهوامش :

1- العواصم من القواصم / 260.
2 - مجموع الفتاوى 27/479 .
3 - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي / 116.
4 - كتاب البغال المطبوع ضمن رسائل الجاحظ 2/225-226.
5- ضحى الإسلام 2/315 - 316.
6- أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني لمحمد عبد الجواد الأصمعي / 179 - 187.
7 - انظر الأغاني 18 /208.
8-الحباب : الحية.
9 -الأزور: المائل أو الناظر بمؤخر عينه.

قوموا قياماً... ثم افزعوا
قصيدة لقيط بن يعمر الإيادي

عبد الحميد إبراهيم

لـقـيـط بـن يـعـمر الإيادي شاعر قديم جاهلي مقل، ولا يعرف له إلا هذه القصيدة، وكانت قـبـيـلـتـه إياد ينزلون سواد العراق، وهي منطقة شمال شرقي الجزيرة العربية الآن، وكان لـقـيـط كاتباً في ديوان كسرى ، ولما علم أن كسرى ينوي غزو قبيلته إياد كتب إليهم بهذه القصيدة يحذرهم ويستنهضهم ، فوقع الكتاب بيد كسرى فقطع لسانه.

1- أبـلـغ إيــاداً وخلل(1) فـي ســراتـهــم   إني أرى الرأي -إن لم أعص-قد نصعا

2- يا لهف نفـسي إذا كانت أمـــوركــــم شتّى ، وأُحْـكِـمَ أمـر الـنـاس فاجتمـعا

3- ألا تـخـــافــون قــومــاً لا أبــا لــكـــم أمـسـوْا إليكم كأمثال الــدَّبَى(2) سرعا

4- فـهـم ســـراع إلـيـكـم؛ بـيــن مـلـتقـط شوكاً، وآخر يجني الصاب والسَّلعا(3)

5- لا الحرث(4) يشغلهم بل لا يرون لهــم مـن دون بـيـضـتـكم رِيّـاً ولا شــبـــعــا

6- وأنتم تـحــرثــون الأرض عـن ســفــــه في كـل مـعـتـمـل(5) تــبــغـون مُزْدَرَعا

7- وتلبسون ثياب الأمـــن ضـاحـيـــــةً(6) لا تـفـزعون وهـذا الـلـيـث قــد جمـعـا

8- مالى أراكم نيامــاً فـي بُـلَـهْــنــيــــةٍ(7) وقد ترون شهاب الحرب قد سطـعــاً؟!

9- فاشفوا غليلي برأي(8)مــنـكــم حـصــديـصـبـح فـؤادي لـه ريـان قــد نـقــعـا

10- صونوا جيادكم واجْـلَوا(9) سـيـوفـكـم وجـددوا لـلـقـسي الـنـبـل والـشِّـرعـــا

11- لاتُثْـمـروا الـمــال لـلأعــــداء؛ إنـهـم إن يـظـهـروا يحتووكم والتلاد معا(10)

12- هـيـهـات لا مــال لـلأعـــداء؛ إنهــم إن يـظـهـروا يحـتـووكم والتلاد مـعـــا

13- والله ما انفكت الأمـــوال مــــذ أبـــد لأهـلـهـا (إن أصيبوا مــرة) تـبــــعـــا

14- قوموا قياماً على أمـشـاط أرجـلــكـــم ثـم افزعوا ، قد ينال الأمــن من فزعـا

15- وقــلِّــدوا أمــركـــم للـــــه دركـــــم رحـب الـذراع بأمـر الحرب مضـطلعـا

16- لا مـتـرفــاً إن رخــاء العـيش ساعــدهولا إذا عـضَّ مـكـروه بــه خـشــعـــا

17- ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره(11) يـكـون مـتَّـبِـعـاً طـــوراً ومـتَّــبَــعـــا

18- حتى استمرت على شَـزْر مريرته(12) مـسـتـحـكـم الرأي لا قحماً ولا ضـرعا

19- ولـيـس يــشـــغـــلــه مــــال يـثـمــره عـنـكـم ولا ولـد يـبـغي له الرِّفعا(13)
20- لقد بذلت لكم نصحــي بلا دَخَل(14) فاسـتـيـقـظوا ، إن خير العلم ما نفـعا

شرح القصيدة

بلِّغ ما سأقول لك قبيلة إياد ، واخصص أشرافهم ورؤساهم بهذا التبليغ ، فقد أصبح الأمر واضحاً لا يحتاج إلى انتظار،ما أشد تلهفي وتوجعي إذا واجهتم التهديد والخطر بالفرقة، واجتماع الناس عليكم بالتفرق والتشتت .!
القوم (الفرس) قد احتشدوا لكم عن آخرهم ينوون غزوكم ، وهم مثل الجراد في كثرتهم ، ألا تخشون عاقبة غزوهم لكم؟!
هاهم يسارعون إليكم ، كل منهم يتجهز ويعد العدة لا ستئصالكم. ولم تشغلهم عنكم دنيا من زراعة وتجارة ، بل تركوا كل أعمالهم وشواغلهم وتفرغوا لاستباحة ساحتكم وقهركم، هذا وأنتم مع كل هذه الأخطار المحدقة بكم لا زلتم من ضعف عقولكم مشغولين بزراعتكم حريصين على عمل هنا وعمل هناك ، آمنين حين يخاف الناس ، مستكينين حيث ينظر الناس للخطر المحدق ، لا تحركون ساكناً مع أن الخطر على مرأى البصر منكم قد تجهز واستعد لإبادتكم.
ما هذا الأمن والدعة والخمول الذي أراكم نائمين فيه ، في وقت تدق حولكم أجراس الخطر وتشتعل حولكم النيران ، وقد أذنت ساعة الحرب التي لا مرد لها؟! فأجمعوا أمركم على رأي قوي واحد يشفي الفؤاد المتحرق الذي طال انتظاره للنصر.
استعدوا بكل أنواع الاستعداد وتعبَّئُوا بكل أشكال التعبئة؛ من الاعتناء بالخيل وتدريبها؛ وتجهيز عدة الحرب من سيوف وقسي ، واتركوا صرف الوقت في تثمير المال جانباً الآن ، لأن الأعداء إن يتغلبوا عليكم فلن تنفعكم هذه الأموال التي ستكونون معها ملكاً للمتغلب. وأي نفع للزرع والإبل الذي تصرفون إليه همكم الآن إن ضربت عليكم الذلة والمسكنة؟ المال تبع لأصحابه فمن يقهر الناس يسخرهم ومالهم لمنفعته.
هيا هبوا هبة رجل واحد فالأمر لا يحتمل التأجيل أو التقاعس ، ففن لا يحس بالفزع لن يعرف الأمن. واجتمعوا على قائد مقدام بصير بالحرب قادر على حمل تبعاتها ، لا شخصاً قتل رجولته الرخاء ، واعتاد خفض العيش ، واستنام إلى الدنيا وملذاتها ، وليس رجلاً ضعيف النفس ، ينهار لأول مكروه يعترضه.
أسندوا أمركم لرجل عرك الأمور ، وحنكته التجارب ، وتقلبت عليه الأيام بحلوها ومرها حتى اشتد أسره، واستحكمت إرادته، لا هرماً ولا ضعيفاً،ولا يشتغل بتثمير المال وحيازته وتكديسه، ولا يـهـتـم بـأولاده يـبـحث لهم عن تأمين المستقبل المادي ويترك الاهتمام بأمر الرعية.

هذا نصحي قدمته لكم مخلصاً ، فأفيقوا من غفلتكم ولا تكتفوا بسماع هذه النصيحة أو حفظها دون العمل بها ، فإنه لا خير في علم لاينتفع به.

على هامش القصيدة

هذه القصيدة خطبة حماسية ، تعلو نبراتها وتهبط وتتراحب موجاتها وتنقبض بقدر ما يسمح بذلك "البحر البسيط" ، جملها مباشرة وواضحة ، وعناصر الإثارة فيها نابعة من النظر إلى مشكلة وجود الجماعة برمتها ، وهذا أبلغ في التأثير.

وبما أنها من الوضوح بما لا يجعلنا بحاجة إلى الوقوف كثيراً عند التحليل والشرح؛ فإن من المناسب إلى أن نشير على هامـشـهـا بإشارات عدة تلقي الضوء على دلالتها المطلقة من عقال الحادثة التاريخية المحدودة.

1 - أول ما يحذر منه الشاعر، ويعبر عنه تخوفه وقلقه الشديد منه هو داء الفرقة ، وهذا الداء الذي ينجم عنه تقديم المصلحة الفردية على المصلحة الجماعية، ويكون الباعث على تجاهل آثاره المدمرة هو قصر النظر وعدم التفكير في العواقب.

2 - الاشتغال بالكسب واستغراقه للجهود مجتمعة - دون تفكير بجانب الوقاية من المخاطر المتوقعة ، وحماية هذه المكاسب من العدو الطامع المتربص بها -أخذ من الشاعر جهداً غير قليل في التحذير منه ..

3 - القضية الثالثة قضية القيادة والريادة ومواصفاتها. فقد أبرز الشاعر الصفات العامة للقائد المطلوب بأن يكون :

أ - واسع الأفق كريم النفس.

ب - خبير بأمور الحرب.

ج - بعيد عن الترف.

د - صبور قوي الإرادة عند الملمات.

هـ - عنده خبرة وتجربة ولم يقفز إلى القيادة قفزاً.

و- غير هرم ولا ضعيف الشخصية.

ز- لا يسخر منصبه لمصلحته الخاصة ومصلحة عائلته.

هذه القضايا الثلاث ، بل هذه الأمراض الثلاثة: الفرقة ، وتقديم الأقل أهمية على المهم (الخلل في ترتيب الأولويات أو إهمال بعضها) ، واستغلال المناصب العامة من أجل الأغراض الخاصة ؛ لم تزل أمراضاً قديمة - حديثة ، عميقة الجذور بين المجتمعات البشرية ، وعلى الرغم أن كثيراً من الأمم قد وجدت الحلول التي تحد من أخطار هذه الأمراض (ولا نقول : اقتلعتها من جذورها) إلا أننا - نحن العرب من بين الأمم - لم نهتد إلى حل يجنبنا الويلات التي عانيناها من الفرقة والجهل والطغيان والاستبداد.

إن قبيلة إياد التي يستنهضها الشاعر بقصيدته تشكل في عرف تلك الأيام الدولة بالنسبة للفرد ، وهذه الدولة الصغيرة التي كان وجودها مهدداً بتسلط

كسرى وجبروته استطاعت أن تثبت في وجهه وتهزمه عندما تنبهت إلى عوامل القوة الكامنة ، وفزعت إلى قوتها الذاتية وطاقاتها المذخورة.
ولا أريد أن أستغل حرب "ذي قار" التي كانت جواباً عملياً على التحذير في هذه القصيدة من أجل الإشادة بالنعرة القومية والعصبية العنصرية التي لجأ إليها في يوم من الأيام أصحاب الفكر القومي الذي قدم مقابل الفكر الإسلامي؛ بل الغرض هو المقارنة بين حالتين تاريخيتين واستخلاص الدرس والعبرة من أولاهما للثانية لوجود تشابه بينهما..
فـ "إياد" كانت مهددة بقوة خارجية ، والعرب الآن مهددون بقوى خارجية ، وإياد كانت أثناء ذلك التهديد غافلة عما يحاك لها. ونحن فينا غفلة شديدة عما يحاك ويدبر لنا ، وكان لقيط بن يعمر هو المحذر من ذلك الأمر المنذر بالخطر ، وأهل العلم والمفكرون هم اليوم الذين يقومون بهذه المهمة.
واستهلاك الجهود في الزراعة والتجارة وتثمير الأموال هو ما يجب أن يوضع في مكانه الصحيح وأن يضاف إليه جهد آخر هو جهد الدفاع الصحيح والحماية لهذه الجهود والأموال التي يحتال علينا العدو في اقتناصها بشتى الخدع والأساليب ، فالأموال التي تبقى بعد استهلاك الكثير منها في الفسق والفجور والكماليات والمشاريع الديكورية ، والمظاهر الخادعة وفي غير ذلك مما لا فائدة منه على المدى الطويل؛ تستهلك عن طريق دعم مصانع الأسلحة الغربية التي تصنع آلات الدمار والفناء للبشرية المعذبة بسيطرة مفاهيم هذه الحضارة الأوربية المتغطرسة.
يبدو أننا أنزلقنا من حيث لا نشعر إلى الحديث عن السياسة ، ونحن لا نريد ذلك ، ولكن إيحاءات هذه القصيدة دفعتنا إلى هذا الاستطراد الوبيل دفعاً.
وكلمة أخيرة : إذا نحن جردنا تاريخنا من كل ما له علاقة بالإسلام منذ موقعة"ذي قار" إلى اليوم ، واستبعدنا كل اللمعات المضيئة من ذلك التاريخ فماذا يبقى من أشياء صالحة للاعتزاز بها؟! سوف نرى أن أحوالنا ما زالت في تراجع منذ ذلك الوقت إلى الآن حيث أحيطت كل مجموعة من القبائل والأوزاع بسياج قرئت عليه طلاسم خرافية سموها "القانون الدولي" وحفظت في أقبية لندن وباريس ومبنى عصبة الأمم ومن بعدها هيئة الأمم! ورضينا نحن بهذه الخطوط الوهمية المقروءة عليها تلك التهاويل الخرافية! وهاهي دول الغرب الصليبي ، (والاتحاد السوفييتي الصديق وبلدان المنظومة الاشتراكية) كلها تشارك في تجديد العهد على إغاظتنا وإنزال الآلام في قلوبنا - بمشاركتها في جلب موجات من اليهود الجدد إلى فلسطين بعد كل مساهماتها الماضية - على الرغم من تغزلنا بأسمائها ، وتمطقنا بذكرها في الحقبة السوداء الماضية؛ فلا ندري ماذا نفعل ، ولا نقف وقفة صحيحة لا كالمسلمين الذين يأبى عليهم دينهم قبول الضيم ، والرضا بنتائج الكيد والخداع؛ بل ولا كعرب الجاهلية الذين

استنهضوا فنهضوا ، واستفزعوا ففزعوا !! فهل إلى خروج من سبيل؟! نرجو ذلك.

الهوامش :

1 - خلل في سراتهم : خص أشرافهم بالتبليغ والتحذير .
نصع الرأى: بان ووضح.
2 - الدَّبى : صغار الجراد.
3 - يجنى الصاب والسلعا: الصاب والسلع : نوعان من الشجر ويجني الصاب والسلعا كناية عن إضمار الشر وإعداد السلاح .
4 - الحرث : الزراعة .
بيضتكم : أرضكم وأصلكم.
5 - المعتمل : موضع العمل .
المزدرع : موضع الزرع.
6 - ضاحية: ظاهرة .
لا تفزعون : لا تنفرون ، ولا تتهيئون.
7 - البلهنية : رخاء العيش ولينه.
8 - الرأي الحصد والمستحصد: الرأي المبرم القوي.
9 - واجلوا سيوفكم : اشحذوها وأعدوا للقتال.
10-جدع الأنف : قطعه ، وهو كناية عن الذل والخضوع.
11- حلب الدهر أشطره : جرّب الدهر وعركته الأيام.
12 - استمرت مريرته : اشتدت قوته .
الشزر: شدة الفتل .
القحم : الشيخ الفاني.
الضرع : الضعيف.
13 - الرِّفع : جمع رفعة.
14-بلا دخل : بلا غش ، بل نصحت لكم مخلصاً في النصح.

شعر

الـحـــريـــة

محمد نموس

أخبرنا أستاذي يوماً عن شيء يدعى الحرية
فسألت الأستاذ بلطف أن يتكلم بالعربية
ما الحرية ؟!
هل هي مصطلح يوناني عن بعض الحقب الزمنية ؟!
أم أشياء نستوردها أو مصنوعات وطنية؟!

فأجاب معلمنا حزناً وانساب الدمع بعفوية
قد أنسوكم كل التاريخ وكل القيم العلوية
أسفي أن تخرج أجيال لا تفهم معنى الحرية
لا تملك سيفاً أو قلماً ، لا تحمل فكراً وهوية
***
وعلمت بموت مدرسنا في الزنزانات الفردية
ونذرت لئن أحياني الله وكانت في العمر بقية
لأجوب الأرض بأكملها بحثاً عن معنى الحرية
وقصدت نوادي عروبتنا أسألهم أين الحرية ؟
فتواروا عن بصري هلعاً وكأن قنابل ذرية
ستفجر فوق رءوسهم وتبيد جميع البشرية
فدنا رجل يبدو أن ذاق عذاب الشُرَط السرية
لا تسأل عن هذا أبداً أحرف كلماتك شوكية
هذا رجس ، هذا شرك في دين دعاة الوطنية
ارحل؛ فتراب مدينتنا يحوي آذاناً مخفية
تسمع مالم يحك أبداً وترى قصصاً بوليسية
ويكون المجرم حضرتكم والخائن حامي الشرعية
ستبوء بكل مؤامرة وبقلب نظام الثورية
وببيع روابي بلدتنا يوم الحرب التحريرية
وبأشياء لا تعرفها وخيانات للقومية
وتساق إلى ساحات الموت عميلاً للصهيونية
واختتم النصح بقولته وبلهجته التحذيرية
لم أسمع شيئاً لم أرَكُمْ ما كنا نذكر حرية
هل تفهم ؟ عندي أطفال كزغاب الطير البرية
***
وسألت جموع المغتربين أناشدهم ما الحرية ؟
فأجابوا بصوت قد دوى : فَجَّرت هموماً منسية
لو ذقناها ما هاجرنا وتركنا الشمس الشرقية
بل طالعنا معلومات في المخطوطات الأثرية
أن الحرية أزهار ولها رائحة عطرية
كانت تنمو بمدينتنا وتفوح على الإنسانية
ترك الحراس رعايتها فرعتها الحمر الوحشية
***
وسألت أديباً من بلدي هل تعرف معنى الحرية ؟.
فأجاب بآهات حرّى : لا تسألنا ، نحن رعية!

ووقفت بمحراب التاريخ وقلت له ما الحرية؟
فأجاب بصوت مهدود يشكو من وقع الهمجية
الـحــريــة :
أن يحيا الناس كما شاء الرحمن لهم بالأحكام الربانية
وفق القرآن ووفق الشرع ووفق السنن النبوية
لا وفق قوانين الطغيان وتشريعات أرضية
وضعت كي تحمي أشخاصاً تقفو الأهواء الشخصية
الـحــريــة :
ليست نصباً تذكارياً يغسل في الذكرى المئوية
الحرية لا تستجدى من سوق النقد الدولية
الحرية لا تمنحها هيئات البر الخيرية
الحرية نبت ينمو بدماء حرَّى وزكية
الحرية تنزع نزعاً
تؤخذ قسراً
تبنى صرحاً
يعلو بسهام ورماح ورجال عشقوا الحرية
إن تغفل عن سيفك يوماً فلقد ودعت الحرية .

ذكريات من مواسم الهجرة

د.مصطفى السيد

-1-

ما كنت أحسب - وأنا أضع عـصـا التـرحال - في رحلة من مواسم الهجرة نحو الخليج ، في مطالع التسعينيات من القرن الرابع عـشـر الهجري ما كنت أحسب أني سأستقر مجاوراً لمرابع (تميم) وفي مدينة من مدن القصيم (1)، وما دار بخلدي أن للتاريخ حضورًا في (نجد) يتجاوز الكتب الراقدة فوق رفوف المكتبات ، أو المحفوظات الرسمية في صدور الرجال.
إن هذا الجحود لعبقرية المكان وما أكنَّته (الكثبان) كأنه أمر متوارث، وكأن الأدباء تواصوا به ، فاضطربت أقوالهم في مواطن الأيام ومواضع الوديان وأماكن المياه في مهبط إلهام الشعر العربي في (نجد) فتقاذفوا وديانها بين جنوب وشمال ، ويمان وشآم.
إن (عزرا باوند) (2) (1885-1972) قد ذرع بحر (إيجه) جيئة وذهاباً، ويـسـتـلـهـم كـل حجر ومدر ويستنطق كل واد وجبل عن أخبار القوم في الإغريق ، ولقيت اليونان من عشاق حضارتها ما لم تبلغ نجد مده ولا نصيفه.

نجد في الأدب العربي مـعـادل مـوضـوعـي لليونان في الآداب الغربية فهي خزانة الأدب وعتائد(3)الهوى، استضاءت بنور الوحي، ثم كبت كبوة كأداء - الردة - ثم وثبت تختزن في وعيها دواوين الفصاحة وتراث الأيام ، فلم تهن اللغة ولم يغب الشعر ، بل أطل جذعاً فوق مـنـابـر الـشـام والـعـراقين وخراسان ومصر، مفـعـماً بالقوة مترعاً بالمروءة،لم تزور عنه (حداثة) قصور الشام ، ولم تقصه بلاد الرافدين فلم يلق جحوداً ولا كنوداً كالذي يقنّع به الآن.

-2-

قاتل الله شيطان الشعر ، فقد استهدفت بحديثي أرض تميم ، وما رميت إلى استنطاق كل حجر ومدر في نجد ، فلذلك الأمر أهله ، لقد أوسعتني النوى شسوعاً ، وقذفت بي المطامع لأفتح عيني حين أفتحها في قلب نجد ، دار الزمان دورته ، وعادت نجد مهجراً ومهاجراً ، تؤمها رحلة الشتاء والصيف.
من القاهرة وبيروت إلى (هجرة)(4) تمثلت في بضعة بيوت ، إنها مأساة ، فزعت منها إلى مملكة الخيال لأجبه جحافل الواقع ، لقد أسبلت عيناي معاً ، وتلفت القلب إلى قريتي في البقاع والأشجار التي اصطفت على مداخلها كأنها حرس شرف.
كيف الشجيرات التي على طريق البلد؟.
طويلة أم انحنت حزينة في كمد؟
تزورها بلابل من الشمال تغتدي
أم أنها عارية الأعراف في توجد؟.
أية عبقرية للشاعر الجاهلي التي جعلته يتجاوز الفناء المفروض على الأرض إلى البناء الذي أقامه في عالم الكلمة ، لقد وجد في (أبيات) القصيدة عوضاً عن (الأبيات) التي جدت يد الفناء في هدمها ، حتى باتت مسكونة بعويل الريح ، مقطونة برماد التذكر ، ليت نقادنا يخبروننا عن الوشائج بين بيت الشِّعر وبيت الشَّعر ، الذي لم تطق ميسون بنت بحدل الكلبية أن تغادره عندما انطلقت بهذا الحوار الداخلي :
لبيت تخفق الأرواح فـيـه أحب إلي من قصر منيف
كل هذا الحوار يقول إن الوطن ليس شملة يسهل خلعها كما لا يصعب ارتداء غيرها.
في تلك (الهجرة) قرأت كتاباً لحسن عبد الله القرشي عن عنترة لأقف من خلاله على المعالم الخفية للمكان ، لم يكن ذاك اختياراً ، بل كان الكتاب الوحيد الموجود في مكتبة المدرسة عن الأدب الجاهلي ، ولكن لحسن الحظ فإن (نجد آل الشيخ) قد استهوتني أكثر من نجد الجاهلية ، لقد لفت نظري تغلغل فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحضوره على كافة المستويات العوام والمتعلمين ، ولا تكاد تجد لهم ثقافة غيره في مكتبة مطوع الهجرة ، وجدت فيها طائفة صالحة من الكتب : زاد المعاد ، البداية والنهاية ، كتب آل

الشيخ ، ارتحلت بخيالي إلى بلدي لأقارن بين مكتبة إمام المسجد في هذه القرية ومثيلاتها عندنا حيث تجد غالباً (مولد العروس) و (دلائل الخيرات) وكتب تفسير الأحلام ، وبقية المخدرات الفكرية من مصنفات أهل التصوف.

-3-

كـنـت مـلـول الـطـبـع ولا سيما إذا أكرهت على جُلاس لا يفيدون علماً، ولا ينشرون من الـتـاريخ عبراً ، هذه النماذج البشرية التي لا نجد في كلماتها إلا لكمات للحياة الجادة ، يجرجر أحدهم عمره في سوح العجز، يموت أسى، ويقضي كمداً إن خسر بضع دريهمات في صفقة عقدها ، أو وقعة اقتصادية شهدها ، ولكن خسارة عمره لم ترفع منه رأساً ، ولم تعل صوتاً ، وأنى يرفع رأسه وهو لم يتعهد إلا فراغ جيوبه، ولم يدر بخلده أن في رأسه ، بل في قلبه أوعية بملئها يتميز البشر ويتفاضل الخلق ، لأشد ما تألمت على هؤلاء الذين يصرفون أعمارهم في هروب منظم، ولا تبخل عليهم ذاكرة العجز باسم مهذب لهذا الفرار، وما أكثر الأسماء (المرفوعة) و المسميا ت (المخفوضة).
ومـن فـضـل الله علي أن انـتـقـلـت بـعد تلك القرية (التي ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس) إلى ماء لتميم، إلى وادي الرس، فأرشفنا على ظمأ زلالاً، أسرتني حلاوة ذاك الماء، وكثيراً ما استحضرت وفاء السموأل واسترجعت كرم حاتم ، بل إن صاحب الماء تجاوز بسمو الإسلام وشعب الإيمان هذه الرموز الجاهلية ، وصدق رسول الله-صلى الله عليه وسلم- القائل:"خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا"، ولم يكن الماء التميمي في جو نجد اللاهب يزيل جفاف الفم فحسب بل يزيل أيضاً جفاء القلب ، وما أن تضيء أنوار الحديث حتى أشعر أننا في غير زماننا وخارج مكاننا نستفتي ابن منظور ، ونراجع (المغني) ولا يحسم الجدل إلا (بالفتاوى) ولا نغيب عن العصر أو يغيب عنا وحول الماء الندي والخلق تمثل بفتية أقصوا الدنيا وإن لم تقصهم ، وفارقوها وإن لم تبرح لهم مغازلة وإليهم متشوفة.

-4-

كان صاحب الماء يطربه الحديث ، ويعجبه هذا المعرض التاريخي الدائم ، قناة للتواصل، يسع مرتادي هذا الماء بحلمه ويغضي عن بعض التجاوزات بابتسامة طبعت على شفـتـيه، وكان الطعام والإكرام أقل ما يجده الناس في هذا المورد التميمي، وإذا ذكر أحد الحاضرين حاجة إلى مال أو افتقار إلى جاه - أسر صاحب الماء ذلك في نفسه ولم يبده - ليندفع بعد ذلك بسرور غامر يسد الخلة ويستشفع لأصحاب الحاجات.
لقد تواضع شيخ تميم، الأحنف بن قيس واصفاً نفسه بالتحالم ليقر لقيس بن عاصم بالحلم ولم أر في صاحبنا التميمي - على ما فيه من الشمائل - أظهر من التواضع وحرصاً نادراً على كتمان معروفه وإظهاره عيوب نفسه ، وما إن

يسمع من أحد المختلفين إلى مجلسه ، حديثاً عن مسلم يخرج بماله أو نفسه ثم لا يعود بشيء من ذلك إلا وتجده يغالب دموعه متسائلاً عن مدى استحقاقنا لهوية الإنسان بله الإسلام ، ثم يردد (الله يرحم الحال).
ولئن فارقنا هذا الماء فهو لم يفارقنا، وعندما يرتد البصر حسيراً ، يتلفت القلب ، ويسعف العقل باستحضار شريط الأطلال ليبدأ الحوار الداخلي إذا تعذر الحديث الخارجي.

-5-

لم تكن هذه الكلمات انعكاساً لكل ما انطبع على صفحات المرايا النفسية ، بل هي بعض الوفاء وأنى لمثلي أن يؤدي حقاً لأقوام درست في (مجالسهم أبجدية (الفلاح) ، وكان ممن حملت معي بعد النأي والبعد صوتاً قرآنياً يتغنى بالمصحف ويحبر الآي تحبيراً .
ومن تمام الرواية ، أن رواد الماء التميمي لم يتفرقوا قبل تلاوة كفارة المجلس.
»سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك« .

ما أجمل الصحراء التي تمضي فيها القوافل
وتتلى الصلوات ، وتساق المحامل ،
فاسجد على رمالها المحرقة
واحرق الجبين حتى يبقى عليه الأثر.

محمد إقبال

الهوامش :

1 - يقصد الكاتب مدينة (الرس) من مدن القصيم في المملكة العربية السعودية.
2 - شاعر غربي مشهور.
3 - عتائد : مفردها عتيدة ، صندوق تضع فيه المرأة ما يعز عليها من طيب وبخور.
4 - بيوت قليلة في البادية.

شئون العالم الإسلامي ومشكلاته

مشكلة الفرات من نتائج العصبية القومية

أبلت الصحف والمجلات العربية بلاء حسناً في عرض قضية "نقص المياه" و "حرب المياه". وقدمت تحليلات كثيرة حول هذا الموضوع الذي أبرزته واهتمت به الصحافة العالمية. وأشارت إلى أن الحرب المقبلة التي قد تنشغل

بها الدول العربية فيما بينها ، أو فيما بينها وبين جيرانها في الـمستقـبل قد تكون حروباً على المياه ، وأن تركيا تريد أن تسخر موضوع المياه لتحقيق أغراض سياسية واستراتيجية في المنطقة.
وقدمت هذه الصحف بعض الأرقام الإحصائية التي أصدرتها دول حوض الفرات عما يمكن أن يكون تصوراً أولياً عن نسبة استحقاق كل دولة من ماء الفرات ، وعما تنوي أن تحتجزه تركيا من مائه، وما سمحت بمروره،وعن مستقبل توزيع الحصص. وهناك ملاحظات حول المعلومات والتحليلات التي تضمنتها هذه الصحف ، ومن ذلك :
1 -كان هذا الموضوع متشابهاً حيث عرض ، وكانت أكثر الصحف تنقل عن بعضها الأرقام والنتائج المتوقعة ، ولـيـس مـن اختلاف إلا في التلاعب في بعض الجمل والألفاظ الرابطة، والتي يـظـن الـمـحـررون بـسـذاجة أنهم -بمهارتهم وحنكتهم -يستطيعون أن يقنعوا القراء أنهم يحققون سبقاً صحفياً لمـطـبـوعــاتـهـم؛ سواء على مستوى أهمية القضية وما تمثله في الواقع ؛ أو على مستوى تحليلها.
2 -كل التحليلات العربية تقريباً كانت تـتـكــئ على التحليلات الغربية ونظرتها المسبقة المغرضة إلى المنطقة ، أي تـنــاول الـقـضـية وكأنها بنت الواقع الحالي دون ربطها بقرائنها التاريخية والجغرافية ، والنظر إلى أن الحالة الراهنة هي حالة مطلقة لن يدركها التبديل ولا التحويل.
ولتوضيح ذلك نقول :
إن الأوربيين - مـؤرخين، وصـحـفـيـيـن، ومفكرين - لا ينظرون إلى العالم العربي كوحدة فـكـرية وتـاريـخـية بينها من الروابط ما بين أقاليم فرنسا ، أو بريطانيا ، أو إيطاليا ، أو غيرها؟ بل ينظرون إلى العرب كما يحبون أن يروهم : منقسمين على أنفسهم ، بينهم من الخلافات العميقة التي يستحيل حلها، ولا شيء يجمعهم، وأن هذه الحدود التي تفصلهم هي حدود أزلية أبدية! وكأنهم ليسوا هم الذين رسموا هذه الحدود على الورق أولاً ، ثم نفذت على الأرض ثانياً ، لا العكس - كما هو الطبيعي في كل البلاد ، ما عدا تلك التي فتحها المسلمون ؛ أو دخلها وانتشر فيها الإسلام!
يتجاهل هؤلاء الأوربيون في تحليلاتهم أن الحدود بين العراق والشام، وبينهما وبين تركيا بل الحدود بين دول المشرق العربي جميعها؛ لم تبرز إلا بعد اتفاقية سايكس -بيكو عام 1916 وأنها لم تنفذ على هيئتها الحالية تقريباً إلا بعد عام 1920.
إن النظرة التي ينظر بها الأوربيون إلى هذه البلاد هي أنها بلاد كانت مشرعة الأبواب على مصاريعها ، تدخلها الموجات البشرية الغازية من جهاتها الأربع.
وأنهم إذا حدوا لكل رقعة حدوداً ، ورسموا لها مجالاً لا تتعداه؛ فقد أسدوا إليها معروفاً لا ينبغي أن ينكر أو ينسى.

ولكن ، هل بقيت كلمة حول قضية المياه لم تطرح؟ أو شيء غامض لم يكشف عنه الحجاب؟.
والجواب : نعم ، هناك مسألة يمليها التصور القائم على أساس الإسلام ، وتتهرب الصحافة العربية التي تسير على هدي الصحافة الغربية من تناولها من هذه الزاوية. وسواء كان هذا التهرب جهلاً أو تجاهلاً؛ فالنتيجة واحدة.
هذه المسألة هي مسالة القومية التي استوردناها - عرباً وأتراكاً - من الغرب ، فنفخت في أنوفنا ، وأعمتنا عن رؤية الحقائق كما هي ، وجعلتنا نتعصب للجنس على حساب الحق ، ونبرز الفوارق العنصرية ، ونخفي ما نتفق عليه ، والذي هو مبرر عزتنا ، وعنوان حضارتنا - وهو الإسلام الذي خرجنا بفضله من الظلمات إلى النور ، وقدمنا عن طريقه إلى العالم شيئاً نعتز به ونفتخر ، والذي قد لا تزول كراهية الغرب بتاتا للعرب وغيرهم من أمم الشرق إذا تخلوا عنه؛ ولكن ستكون كراهيتهم لهم ما داموا يعتزون به ولا يرضون عنه بديلاً أكثر وأكبر.
إن القضايا الاقتصادية التي تؤثر على العلاقات بين الشعوب لا تعالج معالجة معزولة عن القضايا النفسية والتاريخية التي توجه هذه الشعوب ، ونعني بذلك هنا قضايا العقائد والمبادئ. هناك عقائد ومبادئ تتصارع على هذه الرقعة من العالم ، هناك قوى ظاهرة تتحرك تحت الشمس ، وقوى خفية تتحرك في الظلام ، والقوى الظاهرة والخفية لم تتوقف يوماً عن محاولات العبث في أمن هذه المنطقة المهمة من العالم ، ولا تريد لها أن تهدأ أو تستقر.
لقد نجح الاستعمار وأعوانه أن يصدروا إلينا "النظرية القومية" ، ويغرسوا العنصرية التي ألوت بمجد العرب والترك ، وأضرت بهم محلياً وعالمياً ، وجعلتهم يتسولون القروض والحسنات من الغرب الصليبي والشرق الملحد ، وغادرتهم مجرد صغار لا قيمة لهم ، وسلعاً للمساومة لا حول لها ولا قوة.
إن كل نظرية لا بد لها من ثمار ونتائج ، وإن هذه الثمار والنتائج تقوم بما تعطيه من خير لمصلحة أكبر عدد من المنتفعين بها ، وخير المعنيين بها مباشرة وإن العصبية القومية التي مزقت البشرية ، وكنا نحن - المسلمين - أشد ضحاياها غباءً ، لما نملك من أسباب الهداية؛ لم تثمر لنا إلا مر الثمر ، ولم نجن من ورائها إلا السراب! نعم ، استفاد منها قوم؛ استفاد منها الغرب وأعوانه ، واليهود وأشياعهم ، واستفاد منها من يتاجر بآلامنا وفرقتنا ، ويراهن على زوالنا واندثارنا.
ماذا ينتظر الذين جروا - ويجرون - وراء الغرب الذي طغى في البلاد ، فأكثر فيها الفساد ، ونشر فيها الأوبئة النفسية والجسدية؛ نشر الأفكار الهدامة كالقومية والمبادئ الباطلة كالشيوعية والوجودية ، وضمن حرية التحلل الخلقي وصدر الإيدز وسائر الأمراض "الإفرنجية".. ماذا ينتظرون من نتائج لما صنعته أيديهم التي نفذت خطط "لورانس" ، والتي كانت تهدف - فيما تهدف

إليه -إلى دق إسفين سميك عريض في علاقة العرب والترك ، والقضاء على رابطة الدين الإسلامي التي تجمعهم.
لا شيء ينتظر إلا مزيداً من التمزق والحروب والويلات التي تذهب هذه الشعوب الإسلامية وما تثمره وتملكه وقوداً لها.
إن العصبية القومية تستمد غذاءها من الجانب المظلم من الإنسان ، بل من الجزء الحيواني فيه؛ من الأثرة ، والشح ، والحقد ، والكراهية ، والحسد ، ومن حب التسلط والتفاخر والتعالي على الآخرين بقهرهم.. ومن سائر الأهواء الشخصية والجماعية.. في حين أن الرابطة الإسلامية رابطة اختيارية متطلعة إلى الحق ، وتستمد شرعيتها من وعي الإنسان بذاته ، ومن إدراكه لدوره الذي حده خالقه له ، هذا على المستوى الفردي ، أما على المستوى الجماعي؛ فإن الرابطة الإسلامية هي التي جعلت للعرب دوراً تاريخياً على الأرض ، وحملهم هذه الرسالة إلى العالمين هو الذي يحترمهم من أجله من يحترمهم من أهل الحق ، ويكرههم من أجله من يكرههم من أهل الباطل.
وفضلهم يتجلى في تضحياتهم وبلاءاتهم الأولى التي دخل بسببها من دخل في الإسلام من الشعوب الأخرى. ومن ينكر فضل العرب في ذلك فهو إما مكابر متعصب؛ أو جاهل يحتاج إلى نصح وتعليم.
على أن كل هذا لا يجوز أن يعطي العرب حق التسلط على غيرهم من الشعوب وهضمهم وتنقصهم ، والنظر إليهم من فوق؛ بل ينبغي للعرب وغير العرب من المسلمين أن يقولوا:((الحَمْدُ لِلَّهِ الَذِي هَدَانَا لِهَذَا ومَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ)) .
إن ما بين العرب والترك من العلائق والروابط الطيبة أكثر بكثير من الاختلافات التي ضخمها أعداؤهم ، ونجحوا في زرع العداوة بسببها بينهم. وإن علاج مشكلة المياه يكون بإبراز تلك العوائق والروابط والتذكير بها ، فالعرب والترك مسلمون ، والعرب والترك كانوا أمة واحدة ، هدفها واحد ، وعدوها واحد ، وهم الآن متجاورون ، لا زال الهدف واحداً ، والمصير واحداً ، والعدو هو هو.
ولست أدري ، بل ولست أعقل : كيف تجتمع دول أوربا على أمور تحرم علينا نحن المسلمين ، ولئن كانت هناك نقاط التقاء بين الطليان الكاثوليك والإنكليز البروتستانت وبين الألمان البروتستانت والإسبان الكاثوليك.. يجتمعون عليها ويستثمرونها في تقوية أنفسهم وفيما يعود بالفائدة على شعوبهم؛ أفليس بين العراق والشام من روابط يبنى عليها؟! أليس بيننا - نحن العرب - وبين الأتراك من العلائق ما بين الأوربيين؟! إي والله بل أكثر!! لو أنصف المتنفذون من هؤلاء وهؤلاء.
بعد أن تفرق المسلمون إلى قوميات ، وانشعبت القوميات إلى وطنيات ، وأشرفت الوطنيات أن تتطاير طائفيات؛ فإن هذا ليس بمقنع أعداءهم ، بل لن

ينثنوا عن الانقضاض بكل الوسائل عليهم حتى يستحيل عليهم الخروج مما رموا به.
ومع هذا فإن أخطاء التاريخ قابلة للتصحيح إذا ما صحت العزائم وخلصت النوايا ، ورزقت الأمة برواد تلتف حولهم ، فيخرجون بها من الضيق إلى الرحابة ، ومن التبعية إلى امتلاك القرار.
وإذا كان يصعب علينا أن نطالب بوحدة أقطار حوض الفرات - لأن هذا قد يكون غير واقعي ، وإغراقاً في الخيال ، وأحلام يقظة - فلا أقل أن تتذكر أن بينها أرحاماً قطعت ولا يستحيل وصلها؛ وقدراً مشتركاً من العلاقات التاريخية ، وبعد كل ذلك وقبله؛ جواراً أبدياً. وإن مما أمر الله به الإحسان إلى الجار ذي القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب .

الجبهة الشعبية
والعبث الأمريكي بالقضية الأرترية

بلال محمد

في الوقت الذي أعلنت فيه الـشـيـوعـية إفلاسها عالمياً بدأت القوى الصليبية بإعادة ترتيب أوراقها للوثوب على مواقع التأثير ، وبالذات تلك التي كانت تأمل العثور على متنفس من خلال وجودها داخل القفص الماركسي الحديدي.
وحيث إن النظام الإثيوبي كان أحد الـذيــن أووا إلى الكهـف الشيوعي منذ صعوده إلى سلم القيادة قرر أن يجعل من بلاده بؤرة المد الشيوعي وموطناً لـنـفـوذهــا الأمــر الذي مكنه من تلقي الدعم السوفياتي بعناية فائقة للقضاء على من أسماهم بالانفصاليين المتمردين في شمال البلاد.
وبعد أن كان الروس في سابق عهدهم ينعتون ارتباط أرتريا بإثيوبيا فدرالـيــاً وأنه تم برضى أحد الطرفين ، دون الالتفات إلى رغبة الآخر ، غيروا من سياستهم وأبدوا صفـحــة الغدر فأدانوا حركة التحرر الإرترية رغم تلويحها بالشعارات الماركسية ووصفتها "برافـدا" عــام 1987 بالإمبريالية التي تهدف إلى إضعاف إثيوبيا وحرمانها من منافذ البحر الأحمر.
وقالت : إنه في هذه الظروف تورط الانفصاليون الإرتريون في لعبة يلعبها الآخرون وإنهم يساهمون موضوعياً في تنفيذ المخططات الإمبريالية..
إلا أن فشل نظام "الدرق" الإثيوبي في سحق المقاومة الإرترية بالسلاح الروسي أوصل السوفيات إلى قناعة تامة بأن الحسم العسكري غير ممكن لإحلال السلام ، وإن طريق السلام في إثيوبيا سيبقى مسدوداً ما لم يتم التفاوض مع القوى الإرترية ، وعليه أظهر الروس فتورهم وهبوط حماسهم

ومارس جورباتشوف ضغوطاته على منجستو للتخلي عن عنجهيته العسكرية والنزول إلى ساحة الواقع.
وفي ذات الوقت أخذ الجيش الإثيوبي يشهد موجات من التبرم من مواصلة الحرب في إرتريا ، وصار ينادي بالبحث عن بدائل أخرى لحل الأزمات الإرترية ، وتزايدت في وسطه حركات التذمر ، وخلايا المعارضة السرية حتى قام في عام 1988 بمحاولة انقلاب فاشلة على منجستو.
وإثر هذه المحاولة لم يجد قائد الدرق بداً من طرح القضية الإرترية على بساط منظمة الوحدة الإفريقية ولأول مرة في التاريخ بعد أن ظل مجرد الحديث حولها محرماً بوضعها تحت بند عدم التدخل في الشئون الداخلية ، طالب منجستو زعماء الكتلة الإفريقية مساعدته في حل القضية الشائكة ، التي استنزفت اقتصاده ، وبهذا تكون القضية الإرترية وضعت قدميها على منعطف جديد.
إلا أن الشيء الذي يستدعي وقفة تأمل هو عودة أمريكا وللمرة الثانية إلى العبث بالقضية الإرترية لصالح القوى الصليبية العالمية ، فقد أخذت أمريكا في الآونة الأخيرة تبدي اهتماماً بالغاً بالقضية حيث أجرت عدة اتصالات ببعض الرموز الإرترية عبر أحد رؤسائها السابقين "جيمي كارتر" ولأمر في نفسها أناطت المهمة برجل كامب ديفيد الذي أسعف المنطقة بزياراته المتكررة ولقاءاته العديدة التي نظمها مع العناصر الصليبية في كل من إرتريا ، والسودان ، وإثيوبيا.
وهكذا ظهر كارتر فجأة ليكون وسيطاً بين نظام منجستو والجبهة الشعبية الإرترية وبالفعل تم عقد لقاء بينه وبين الأمين العام للجبهة الشعبية إسياس أفورقي في العاصمة السودانية الخرطوم بتاريخ 19 ، 22 أبريل 1989 وذلك عقب عودته من أديس أبابا عاصمة إثيوبيا.
وبهذه السرعة انقلبت أمريكا رأساً على عقب من قمة جفائها وغلظة عدائها للشعب الإرتري وبعد أن جعلت في أذنها وقراً عن سماع مطالبه منذ اندلاع ثورته إلى وسيط يؤرقه مآسيه ويسعده إسداء المعروف إليه.
كما أن الجبهة الشعبية الإرترية التي عودتنا التنديد بمواقف الولايات المتحدة وسائر القوى الإمبريالية من القضية الإرترية أصبح الوجه الأمريكي منذ حلول الثمانينات من أحب الوجوه إليها فأخذت تتبنى مواقف سياسية مباينة بنهجها الماركسي وهذا لا يعني إلا أن العناية الأمريكية وبعد دقة ودراسة متأنية طبعاً وقع اختيارها بالدرجة الأولى على الجبهة الشعبية الإرترية فمنحتها المباركة الرسمية لتلج مؤسساتها السياسية ، ومن ثم سهل على قيادة الجبهة الشعبية التردد بين الحين والآخر على الولايات المتحدة للتعبير من خلال منابرها السياسية عن آراء تنظيمها وتوجهه الجديد.

وباتت اللقاءات التي تعقدها قيادة التنظيم تحظى بقدر كبير من اهتمام المسئولين الأمريكان وتشهد حضورهم ومتابعتهم ، ففي ظل رعاية أعضاء من وزارتي الخارجية والدفاع بالإضافة إلى عدد من السفراء والصحفيين والكتاب وأعضاء المؤسسات الأمريكية الكبرى عقد الأمين العام إسياس أفورقي لقاء في 3 مايو 1989 بمركز الدراسات الإستراتيجية والدولية بواشنطن ، ومُكن في مدينة سان فرنسيسكو من اللقاء بمنظمة "نادي كومنولث" حيث خاطب ما يربو على مائتين وخمسين شخصاً بمقر النادي ونقل حديثه هذا عبر موجات الأثير إلى كل أنحاء مدينة سان فرنسيسكو وضواحيها وعكست صداه أكثر من مائتين وتسع وسبعين محطة إذاعية في الولايات ا لمتحد ة(1).
وأخيراً كلل هذا النشاط بلقاء أتلانتا (2) التمهيدي بولاية جورجيا بين وفد الجبهة الشعبية برئاسة الأمين محمد سعيد ، والوفد الإثيوبي برئاسة "أشاقري" والذي تمخض عنه لقاء نيروبي (3) وهو اللقاء الذي تم فيه الاتفاق على اختيار نيريري رئيس تنزانيا السابق نائباً للرئيس الأمريكي جيمي كارتر في الإشراف على سير المفاوضات.
ولكن السؤال الجدير بالطرح هنا : لماذا كانت الجبهة الشعبية هي الفصيل الذي وقع عليه اختيار الإدارة الأمريكية دون غيره؟.
فيما أحسب ليس لدي كثير من الإرتريين والمهتمين بأوضاع الساحة الإرترية جواب أكثر من أن يقال : إن الثقل العسكري الذي تمثله الجبهة الشعبية في الساحة الإرترية أهّلها لأن تتبوأ مكانها المناسب في قضية السلام الأمريكى ، وهذه الرؤية وإن كانت تمثل جزءاً من الحقيقة فإنها ليست كل الحقيقة ، وحتى هذه الجزئية منها ما كان لها أن تكون إلا بعد أن رأت القوى الصليبية العالمية أن تجعل من الجبهة الشعبية الفصيل الذي لا منافس له ، وذلك بالدعم الإعلامي والعسكري الذي أغرقت به ساحة التنظيم (4) ، وحين انفرد لها بالساحة وخلا بها وحيداً أتته مهرولة تتكئ عليه في تنفيذ مخططها الرامي إلى بسط الهيمنة الصليبية في البحر الأحمر ، فهي تدرك تماماً أهمية موقع إرتريا الذي يطل على قاعدة عريضة من البحر الأحمر ، ومن ثم رأت ضرورة إيجاد حليف لها يؤمن مصالحها ويتحرك وفق وحيها لا سيما وأن المنطقة تشهد تمدداً إسلامياً ، وحيث إن الهيمنة الإسلامية على إرتريا تؤكد هوية البحر الأحمر وانتماءه الإسلامي فإن القوى الصليبية ممثلة في الولايات المتحدة وحلفائها لن تتوانى في إقصائه عن السيطرة الإسلامية.
ولهذا كانت الجبهة الشعبية الإرترية هي اليد التي ارتضت (السي آي إيه) مصافحتها والعمل على وضع القضية الإرترية بين فكيها ، فمنذ وقت مبكر كانت وكالة الاستخبارات الأمريكية قد زرعت رجالها في قلب الثورة الإرترية عبر قاعدتها "قانيو ستيشن" (5) في أسمرا ، وظلت تتفقد النبتة بالسقاية والحماية حتى أينع ثمرها ، وحان وقت قطافها.

وهكذا انتقلت قضية شعب مسلم إلى إدارة صليبية تتدحرج بين أقدام الثالوث الصليبي إسياس أفورقي ، وكارتر ، ونيريري الذي سجل أبشع تاريخ في التنكيل بالمسلمين العرب في زنجبار.
وكانت أمريكا على يقين من الوصول إلى هذه النتيجة وجني هذه الثمار من خلال مراقبتها للصراعات الدائرة في القرن الأفريقي ، فما انزعجت أصلاً من التدخل الروسي في القرن الأفريقي لأنها أيقنت بأن الاتحاد السوفياتي سوف يجد نفسه غارقاً في مشاكل لا طاقة له بها وأنه سيفشل وسيفقد موقعه في إثيوبيا كما فقده من قبل في مصر والسودان والصومال.
ومن هنا ظلت الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس كارتر تحافظ على علاقتها بإثيوبيا وتمد نظام "الدرق" بمساعدات عسكرية حتى عام 1977 وحتى إلى ما بعد 77 بقيت العلاقات الاقتصادية بين إثيوبيا والولايات المتحدة قائمة.
وكان من حرص الإدارة الأمريكية على مصالحها في المنطقة ، أن أسندت إلى كارتر مسئولية تأكيد السيطرة الصليبية على البحر الأحمر ، ومن هنا رغم إدراكها بقصور الجبهة الشعبية وعجزها عن تمثيل الشعب الإرتري كله لما تعانيه من عزلة جماهيرية وقع اختيارها عليها ، ومحال أن يكون هذا الاختيار وليد الصدفة ومحض العفوية بل كان لأمر قد قدر في دهاليز الاستخبارات الأمريكية ، وسوف تنجاب عنا كل غشاوة من شأنها أن تحول دون هذه الرؤية الصحيحة السليمة إذا ما استحضرنا بيان الخارجية الأمريكية الذي صدر في 11 حزيران يونيو 1977 والذي قال فيه كارتر نفسه :"إني ميال إلى أن أتحدى بقوة وبطريقة سلمية الاتحاد السوفياتي وآخرين من أجل النفوذ في مناطق العالم التي نشعر أنها أساسية بالنسبة لنا الآن أو أنها قد تصبح كذلك خلال خمسة عشر سنة أو عشرين سنة من الآن".
إن هذا التحدي كفيل بأن يفسر لنا الغاية التي يهدف إليها تحرك كارتر وإنه ليس قائماً في وجه السوفيات فحسب ، وإنما يتخطاهم إلى غيرهم. ومن ثم إن عبارة "وآخرين" هي جماع كل قوة تسول لها نفسها مزاحمة الأمريكان في مناطق النفوذ التي قد تصبح ولو بعد عشرين سنة هامة بالنسبة للأمريكان.
واقتضت الخطة الأمريكية حالياً قص أجنحة التنظيمات الأخرى وتقليم أظافرها فأغرت حليفها بتصفية كل القوى الإرترية المنافسة والتي تحاول الاقتراب من الساحة فكان لها ما رأت وأرادت (6)...
بـقـي أن نـدرك حـقـيقة أخرى من وهي : إذا كانت الجبهة الشعبية هي الفصيل الجديد بـاقـتـفــاء أثــر كارتر والسير على خطاه ، فإن التنظيمات الأخرى جديرة أيضاً بأن تلعب الولايات المـتـحـــدة الآن على حبالها حسب الحاجة ، كما أن إثيوبيا ذاتها رسم لها أن تستغل نفور الشعب ومعارضته للجبهة الشعبية بإيجاد شرائح من صنائعها فاستطاعت أن توجد عدداً من

رجال الطرب واللهو وطائشي الرأي أطلقت عليهم ممثلي المنخفضات (7) واستدعت نفراً إلى كينيا لتراهن بهم على أطروحتها وتوقع الجبهة الشعبية في مأزق حرج.
وأياً كانت الأسباب التي دفعت هذه العناصر إلى الارتماء في أحضان المــخـابرات الإثيوبية فإن الأطروحات التي يتبنونها لا تمثل إلا سطراً على حقائق التاريخ ، فـمــا كانت إرتريا يوماً من الأيام جزءاً لا يتجزأ من إثيوبيا ، ولم تكن الثورة الإرترية وليدة اضـطـهــاد وقع وزال كما يحلو لهؤلاء الاستسلاميين أن يروجوا.
إن بروز هذه الفئة تزامن مع ظهور حركة الجهاد الإسلامي الإرترية وهذا يوحي إلــى أنه يـمـكـن أن يستخدموا كأداة للشعب تكفه عن الالتحاق بالحركة ، وذلك أن غياب الـفـكـر الإسلامي عن الثورة الإرترية في فجر نشوئها إذا كان من أهم العوامل الأساسية في تحـويل مسارها والتلاعب بها تارة من قوى اليسار ، وأخرى من قوى اليمين فإن وجوده الآن ممثلاً في حركة الجهاد الإسلامي الإرترية يجعل من الصعوبة بمكان اسـتـقـطاب العنصر المـسـلـم الثائر الواعي لإسلامه والتلاعب بعواطفه. ولا يتأتى هذا في نظرهم إلا حـيـن تـوضع أمامه هذه الدمى المعممة والتي تحرك وفق الإرادة الإثيوبية وحلفائها اليهود.
والخلاصة إن منطقة القرن الأفريقي مقبلة على أمر يتعارض مع هويتها الإســلامـية ، وإن عودة الولايات المتحدة إلى القضية الإرترية لا يرمي إلا إلى تطويق الـصـحوة الإســلامــيــة وإخماد جذوتها المتقدة - لا قدر الله -عبر تمكين عناصر صليبية إرترية من التحكم بزمام القضية ، وكذلك العمل على امتصاص الشعور الإسلامي المتنامي في أوساط الارتريين بدفـع بقية التنظيمات العلمانية التي يتربع على عرشها أناس لا يحملون من الإسلام إلا اسـمـه إلى مائدة التفاوض مع إثيوبيا .

الهوامش :

1 - انظر مجلة ساقم لسان حال الجبهة الشعبية عدد 23 ، يونيو 1989م.
2 - بتاريخ7/9/1989م.
3 - عقد لقاء نيروبي في 20 نوفمبر 1989 م ، وستعقبه جلسات في كل من الخرطوم والقاهرة وتنزانيا وهرارى بزمبابوي.
4 - تم ذلك عن طريق ما يعرف بالجمعيات الإنسانية وهيئات الإغاثة الأوربية ورجال الصحافة الغربية.
5 - يقال إن إسياس ذاته كان على اتصال بالقاعدة الأمريكية بأسمرا عن طريق تسفا يوهينس برهي أحد عملاء نظام هيلا سلاسي وحلفائه.
6- وقفت حركة الجهاد الإسلامي وحدها بصلابة في وجه سياسة التصفية وعززت وجودها في الساحة - ولله الحمد - بينما لاذ غيرها بالفرار.

7 - يقول كاسا كيبدا عن هؤلاء : "إن هؤلاء يطالبون بالحكم الذاتي الخاص والمساواة الكاملة في الحقوق الدينية والقومية وقد اتفقنا مع هذه الفتنة واستجبنا لمطالبها" انظر المصدر السابق.

قتل الشيخ عبد الله عزام...
خطوة نحو أفغنة الجهاد الأفغاني

أحمد زيدان

فقد الجهاد الأفغاني يـوم 24/11/1989 أحـد أشــد مناصريه المسلمين وهو الشيخ الدكتور عبد الله عزام الذي لقي ربه إثر انفجار لغم في مـديـنـة بيشاور الباكستانية وهو متجه مع اثنين من أولاده إلى مسجد (سبع الليل) الذي اعـتـاد الشـيـخ رحمــه الله أن يصلـي فـيه، وعـنـد تقـاطع الـشـارع الرئيسي مــع الزقاق المتجه إلى المسجد انفجرت عبوة ناسفة قدرها خبراء المتفجرات ب 20 كلغ مـن مــادة ال ت. ن. ت شديدة الانفجار ، الأمر الذي أدى لانشطار السيارة ثلاثة أقسام.
الشيخ عبد الله عزام أمير مكتب خدمات المجاهدين الذي يعتبر أكبر وكالة إسلامية تدعم المجاهدين والمهاجرين الأفـغــان أسـس خمـسـة مستشفيات في داخل أفغانستان وعدداً من المستشفيات في باكستان لخدمة المهاجرين والمجـروحين الـذيــن أخـلــوا من الجبهات إلى باكستان ، كما أقام عدداً من المدارس داخل أفغانستان وفي باكستان للمهاجرين.

الجهات المتورطة بالاغتيال :

لا شك أن هناك مؤامرة عالـمـيـة حاك خيوطها أطراف وجهات متعددة للقضاء على أحد رموز هذا الجهاد. والذي أعـتـقـده فـي هذا الحدث بأن هناك مخططين وهناك منفذين ، ويمكن أن نعد من الجهات المتورطة أو المستفيدة من الحدث :
1 - القوى الكبرى (أمريكا ، وروسيا).
2 - نظام كابل وشيوعو باكستان.
3 - دولة باكستان.
4 - الشيعة.
سنحاول في هذا المقال أن نذكر الأدلة والقرائن على كل طرف من هذه ا لأطراف.

1 - القوى الكبرى (روسيا - وأمريكا) :

يقول المتابعون لأحداث هذا الجهاد بأن سياسة الانفراج الدولي التي يتجه إليها العملاقان تنافي السماح لأي تجمع إسلامي بالجهاد والإعداد له ، ولا شك أن الشباب العربي الذين تجمعوا حول الجهاد الأفغاني ليس شيئاً قليلاً ، ونحن

هنا لا نكشف سراً-مما يقلق هذه الدول ويهدد مصالحها في مناطق نفوذها من العالم.
ومن العجيب أن تشهد باكستان زيارة نائـب رئـيـس الاستخبارات الأمريكية قبل أيام من عملية الاغتيال حيث إن مثل هذه الشخصيات قـلما تزور باكستان وكان آخر زيارة لمسئول استخباراتي أمريكي هو (وليم كاسي) رئيس الاستخـبـارات الأمـريكـيـة أيام الرئيس ضياء الحق.
وقد حرص القنصل الأمريكي في بيشاور قبل شهر من الاغتيال الالتقاء بالـشـيـخ عـبـد الله رحمه الله إلا أن الأخير رفض اللقاء.
كـمـا يدرك ويعرف من له أدنى اهتمام بالقضية الأفغانية أن الشباب العرب فـي سـاحــة الجهاد وعلى رأسهم الشيخ عبد الله عزام يعتبرون عقبة كبيرة في وجه الحلول التصفوية والسـلـمـيـة المجحفة بحق المجاهدين الأفغان ، إضافة إلى أن الشيخ عبد الله لعب دوراً محورياً فـي التوفيق بين قادة الجهاد الأفغاني ، أو على الأقل تقريب وجهات النظر بين الأطراف المتعارضة ، يقـول الأستاذ برهان الدين رباني : "وقد قضى الشيخ عبد الله ليلة الجمعة أي لـيـلـة الاغـتـيال كل يومه في محاولة الاصلاح بيني وبين حكمتيار حتى طرق علي الباب في الساعة الثانية عشرة ليلاً يطالبني بالتوقيع على وثيقة الصلح ووقعت وقال لي: إن موعدنا فـي إسـلام آبـاد غـداً" وكان الشيخ عبد الله رحمه الله سيغادر بيشاور إلى إسلام آباد بعد أدائه صلاة الجمعة في مسجد العرب.

2-نظام كابل وشيوعيو باكستان :

يستبعد المهتمون بالأحداث مقدرة نظام كابل على تنفيذ مثل هذه المحاولة حيث إنه مشغول في كابل ، ولا يستطيع تنفيذ مثل هذه المحاولة في وضح النهار في شارع مزدحم من بيشاور ، خاصة وأن ترتيبات العملية تحتاج لأربعة أيام على الأقل.
وقد علق حكمتيار أمير الحزب الإسلامي على تورط نظام كابل بالعملية : " لا يمكن لهذا النظام الذي يعاني الأمَرّين في داخل كابل أن يقدر على تنفيذ مثل هذا المخطط" ويستبعد أيضاً أن يقدر الشيوعيون في باكستان تنفيذ مثل هذا المخطط ، إذ أنهم لم يسبق لهم أن فجروا أو قتلوا أو اغتالوا في مثل هذا المكان المكشوف أمام الجميع. وأما المجاهدون الأفغان فيستبعدون تورط الشيوعيين في ذلك ويرجحون جهات أخرى سيأتي الحديث عنها.

3 - باكستان :

يتفق الأغلبية إن لم نقل الجميع على تورط باكستان في العملية إذ أنه لا يعقل أن يعمل هذه العملية أشخاص وتستغرق منهم أربعة أيام كترتيب للاغتيال وفي شارع مزدحم دون معرفة واطلاع المخابرات الباكستانية أو البوليس الباكستاني ، الذي اعتاد أن يجوب الشارع في كل اليوم. حتى أنهم بدءوا

يضعون جنود على فتحة الزقاق المتجه للمسجد بعد المحاولة الأولى وهي زرع متفجرة تزن 2 كغ تحت منبر الشيخ عبد الله وكانت مؤقتةً أن تنفجر أثناء خطبة الشيخ ولكن الله سلم حيث إنها ستقتل وتجرح كثيراً من المصلين العرب الذي اعتادوا أن يؤموا المسجد.
الشيخ قاضي حسين أحمد زعيم الجماعة الإسلامية في باكستان اتهم الحكومة بالتورط في الاغتيال وهدد إذا لم تكشف الحكومة عن الجهة المنفذة فتقوم الجماعة الإسلامية بتسيير المظاهرات ، ولكن لم يحصل شيء من هذا حتى الآن.

4-الشيعة:

الأكثرية من المراقبين يشيرون إلى تورط الشيعة في الاغتيال ، ففي يوم محاولة اغتيال الشيخ الأولى في مسجد سبع الليل قام الشيعة في بيشاور بتوزيع بيانات وباللغة العربية الركيكة عن الوهابية وشتمها وأن هؤلاء العرب الذين قدموا لمساندة الجهاد الأفغاني وهابيون.
أحد الشباب قال لي بأنه التقى مع الشيخ عبد الله رحمه الله قبل اغتياله بأيام ونصحه باتخاذ احتياطات أمنية ، فرد عليه الشيخ بأنه يتوقع أن يقوم الشيعة بمثل هذه المحاولات.
ومنذ أربع سنين حدثني أحد الشباب العرب المساندين للجهاد الأفغاني بأنه اعتقل في إيران لعلاقاته مع الأحزاب السنية هناك ودعمه لها فالتقى به رفسنجاني رئيس الدولة حالياً وطلب منه إملاء وتعبئة ملف كامل عن نشاطات الشيخ عبد الله عزام ودوره في الجهاد الأفغاني ، لكن الأخ رفض وبقي في السجن فترة طويلة إلى أن تدخل بعض قادة الجهاد وأفرجوا عنه.
الأستاذ نور الله عماد نائب أمير الجمعية الإسلامية قال في حفل تأبيني للشيخ بأنه عندما كان في رحلة إلى دولة حدودية ليحضر مؤتمراً دولياً عن القضية الأفغانية ، كان المسئولون هناك مهتمين جداً بمعرفة أدق التفاصيل عن الشيخ ويسألون عنه وعن نشاطاته فأدركت منذ ذلك الوقت بالمؤامرة ، واتصلت بالإخوة في باكستان ليحذروا الشيخ من ذلك ، وينصحوه بأن يأخذ احتياطاته.
أحد مسئولي (الحزب الإسلامي - حكمتيار) ذكر من جملة الأطراف المتورطة في اغتيال الشيخ الشيعة ودلل على ذلك بقوله : "إن الشيخ عبد الله في نشاطاته بداخل أفغانستان ودعمه لتجمعات السنة أحبط محاولات الشيعة في استغلال الوضع ورأوه عقبة كئود في تمرير مخططاتهم.

الاغتيال حلقة في التخلص من مؤيدي الجهاد:

الجميع يتفق على أن الاغتيال ما هو إلا حلقة متصلة في القضاء على مناصري هذا الجهاد من العالم الإسلامي ، وقد بدأ المخطط منذ حادثة طائرة ضياء الحق.

وقد لاحظنا في السنوات الأخيرة استهداف زعماء أهل السنة ، وتحولت آلة الاغتيال من تصفية القادة السياسيين إلى القضاء على علماء أهل السنة فهل يفكر المعنيون بحماية لهم أو ترتيب إجراءات أمنية لهم.
ولا شك أن مستقبل الوجود العربي في القضية الأفغانية يكتنفه الكثير من الغموض حيث أشار الأستاذ سياف إلى توقع سلسلة انفجارات واغتيالات للشباب العربي لإجبارهم على الرحيل.
المهندس حكمتيار طالب العرب بالبقاء وألا يتركوا الأفغان في منتصف الطريق. أما البروفيسور رباني فذهب بعيداً إلى دروس التاريخ خاصة في حوادث المسلمين في آسيا الوسطى عندما حولوها قومية وحصروها وعندما صفي المسلمون هناك لم يأبه لهم أحد أو يكترث بهم ، وكذلك فقد تعرضت القضية الفلسطينية لأعظم خطر عندما تحولت من إسلامية إلى قومية ، وهانحن أيها الإخوة (يخاطب العرب الحضور) في هذه اللحظات الحاسمة نقول لكم إن أرضنا أرضكم وأخوتنا ما تزال وستستمر إن شاء الله ونحن كما قال تعالى:((إنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)) .

تفريغ الساحة من العرب لمصلحة مَنْ ؟

الخيوط جميعها تشير إلى أن أطرافاً متعددة تنوي تفريغ الساحة من العرب ونشير هنا إلى عدة أمور سترافق هذا التفريغ لو حدث - لا سمح الله-
1 - استفراد المنظمات الصليبية الطوعية والحكومية بإعمار أفغانستان والتعامل مع المجاهدين الأفغان وبالتالي لا يستبعد أن يرضخ المجاهدون لبعض سياسات هذه المنظمات ، حيث إن المنظمات الإسلامية تلعب دوراً رائداً في الحفاظ على إسلامية الأفغان بل والترقي بها ورفع مستواهم.
وإن حدث هذا - لا سمح الله - فسيواجه الأفغان أنفسهم وحدهم بالساحة ، ويشعرون بأن إخوانهم المسلمين تركوهم في منتصف الطريق ولا يستبعد قبولهم بالحلول الجزئية والترقيعية ، إضافة إلى أن الصليبيين سيكون لهم موطئ قدم في هذه الديار ، وكذلك فإن بعض الشباب العربي المضطهد في بلاده وجد باكستان ملاذاً وملجأ له. وبهذا يبقون الشباب في حالة من التهجير والشتات.
2 -إن تفريغ الساحة من العرب سيعمل على إضعاف هذا الجهاد ، حيث إن الشباب العرب كان لهم دور فعال في هذا الجهاد ومافتئت إذاعة كابل تشير إلى خطر تواجد العرب في أفغانستان ، وهذا يدركه كل من عايش القضية الأفغانية ، وبالتالي سيشعر الشعب الأفغاني بأنه وحيد في الساحة.
3 -لقد خشي أعداء هذا الجهاد من وحدة المسلمين التي تجسدت في هذا الجهاد واختلط الدم العربي والأفغاني ، وشارك المسلمون من شتى الجنسيات في هذا الجهاد ، وهذا يعطل أكبر برنامج ومخطط تسير عليه الدول

الكبرى في وحدة الأمة الإسلامية ، ولا يروق لها أن ترى المسلمين أمة واحدة ، وقد أشار إلى هذا المفهوم المهندس حكمتيار - حفظه الله-.

وأخيراً :

فهذه هي نتيجة من يسير على هذا الدرب ، ونسأله سبحانه وتعالى أن يتغمد الشيخ عبد الله عزام بواسع رحمته وأن ينزله منازل الشهداء والصالحين ، كما نسأله ألا يحرمنا أجره وألا يفتنا بعده وأن يغفر لنا وله ويصبر أهله وذويه وأصدقاءه وأتباعه إنه قريب مجيب والحمد لله رب العالمين.

واقع المسلمين في بريطانيا

هذا هو تتمة المقال الـمترجم الذي بدأناه في العدد السابق عن المسلمين في أوربا ، ويتحدث كاتبه هنا عن المسلمين في بريطانيا،ننقله دون تعليق لأن فيه الكثير من الواقع والإنصاف.

قسم الترجمة

منذ أن قام متظاهرون ساخطون بإحراق نسخة من كتاب سلمان رشدي في مدينة برادفود في شمال إنكلترا ومسلمو بريطــانيا يتعرضون لمراقبة وفحص دقيق لا نهاية لها من قبل أجهزة الإعلام.

لقد فجرت قضية رشدي حربــاً كــلامــيــة مرة بين الذين يسعون إلى منع الكتاب ومحاكمة مؤلفه بتهمة الإساءة للإسلام؛ وبين أنــصــار حــريـــة التعبير ، لقد توعد المسلمون كلاً من رشدي وشركة (بنغوين) التي قامت بنشر كتابه بالانـتـقـام بأسـالـيـب مختلفة مما أدى إلى إحداث عاصفة من ردود فعل غاضبة ، فقد دعا جمع من الكتاب والـمـعـلـقـيـن الشرطة إلى محاكمة أولئك المسئولين عن التحريض على قتل رشدي ، كما حذر آخرون مــن خـطــورة بروز تيار أصولي إسلامي في بريطانيا.

ومن الجدير بالملاحظة أن هذا الجدل الحاد حول حرية التعبير ونشوء الأصولية قد غطى حقيقة أخرى تدعو للقلق وهي تصدع العلاقة المتزايد بين البريطانيين البيض وبين مسلمي بريطانيا الذين يقدر عددهـم بـ (1.4) مـلـيـون ذوي الأصــول الآسيوية ، ومما يلاحظ أن المسلمين الذين تظاهروا في كل من برادفورد ولندن كانوا يحملون لافتات متطابقة تقول : الجحيم لحزب المحافظين ، الجحيم لحزب العمال ، وفي الحقيقة فإن كثيراً من المسلمين يشعرون بأنه ليس هناك حزب سياسي في بريطانيا يتبنى قضاياهم.

إن غضب مسلمي بريطانيا الذي أججته مؤخراً قضية كتاب رشدي له جذوره التي ترجـع إلى أعوام الطفرة الاقتصادية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، في عقدي الخمـسـينيات والستينيات ، فطبقاً للإحصائيات البريطانية فإن ما

يقرب من (629) ألف مـهـاجـر مـــن الهند ، وباكستان وبنغلاديش قدموا إلى بريطانيا خلال هذين العقدين للـعـمــل فـي مصانع الفولاذ والنسيج والملابس البريطانية مقابل أجور لا يقبل بها العمال الإنكليز عادة.
وكما هو حال كثير من المهاجرين في أنحاء العالم ، فإن خـطـة مـهـاجــري بريطانيا كانت الـعـمل وادخــار مـا أمـكـن من المال ثم العودة إلى البلاد ، إلا أنهم سرعان ما اكتشفوا أن المعيشة في بريطانيا باهظة الـتـكـالـيـف ، وأن الحصول على مسكن أمر صعب ، وأن موجة التمييز العنصري المناهضة للآسيويين واسعة الانـتـشـار ، وكان هؤلاء المهاجرون يرسلون ما يفيض عن حاجتهم من أموال إلى عوائلهم في بلادهم إلا أنـــه بدا للكثير منهم عدم العودة إلى أوطانهم ، لذلك قرروا استقدام عائلاتهم إلى بريطانيا منفقين على ذلك أموالهم المدخرة ، ولم تكن مؤسسات الضمان الاجتماعي في بريطانيا قادرة - أو في تعبير أصح راغبة - في التعاون مع الوافدين الجدد.
وفي البيئة الجديدة شرع الأطفال الآسيويون الذين لا يتكلمون الإنكليزية البتة بالذهاب إلى المدارس في المدن المختلفة ليتعاملون مع من لا يعرف شيئاً عن لغتهم أو ثقافتهم ، ويرفض الأطفال الذين ترعرعوا في محيط إسلامي تناول الوجبات الغذائية المقدمة من قبل إدارة المدرسة خوفاً من احتوائها على ما قد يحرمه الإسلام ، كما أن بعضاً منهم كان عرضة للسخرية والإهانة والتعالي عليه من قبل الطلاب البيض.
وعندما رد أهالي الأطفال على هذه السلوكيات بإبقاء أطفالهم في البيوت بعيداً عن المدرسة، هددت السلطات المحلية بمحاكمتهم.. ففي مدينة برادفورد مثلاً ، والتي تضم أعلى نسبة مـن الــسـكــان الآسـيـويـين في بريطانيا، أمضى المسلمون خمسة عشر عاماً من المحاولات المستمرة قبل أن يتمكنوا من الحصول على موافقة يزود بموجبها أطفالهم بوجبات غذائية تتفق مع تعاليم دينهم.
لقد مرت الجهود التي بذلها المسلمون لإرساء كيانهم في أجواء قاسية من التمييز العنصري. فـفـي نــهــاية الستينيات ومطلع السبعينيات وهي الفترة التي بدأت فيها المتاعب تواجه مصانع الـنـسـيج ، ارتفعت معدلات البطالة وارتفعت معها موجات الاستياء ، وارتفعت في تلك الـسـنــــوات وبشكل منتظم حوادث الاعتداء العنصرية ضد المسلمين. وفي تقرير لوزارة الداخلية صدر عام 1981 م تبين أن الآسيويين أكثر عرضة للاعتداءات العنصرية بنسبة 50 % .
لقد جاهر مسئولون في الحكومة البريطانية بالشكوى من حوادث الاعتداء العنصري ، فقد عبر تقرير وزارة الداخلية لعام 1989م عن القلق حيال ما سيتحمله المجتمع من ثمن باهظ على المدى الطويل إذا ما سمح لتيار النزعة العنصرية الخفي بالتشجيع والانفلات ، وعلى الرغم من هذه الاحتجاجات فإن

عدداً من أعضاء حزب المعارضة يزعمون أن حكومة المحافظين مصدر للتمييز العنصري المنظم وليس علاجاً له.
وبغض النظر عمن هو المسئول، فإن إحدى آثار التمييز العنصري على المدى الطويل قد تكون نمو الروح النضالية لدى مسلمي بريطانيا، ففي موسم الصيف الماضي اتخذت المظاهرات التي نظمها المسلمون في مدينة برادفورد طابعاً عنصرياً مقلقاً، حيث أخذت مجموعات من الشباب الآسيويين بتحطيم الواجهات الزجاجية للمحال التجارية والسيارات وهددوا المارة. ومنذ ذلك الوقت والاشتباكات المتفرقة في الشوارع آخذة في الحدوث في بعض المدن.
ويعلق رئيس مجلس المساجد في مدينة برادفورد على هذه الأحداث في مقابلة أجريت معه مؤخراً فيقول : "إن هذا ليس من الأصولية في شيء ، إن الكثير من أولادنا هم مواليد هذه البلاد ، وهم بذلك من حملة الجواز البريطاني إلا أنه ليس في استطاعتهم الحصول على عمل ، كما أنهم لا يلقون معاملة منصفة".
إن المسلمين البريطانيين يعانون من إحباط على نطاق واسع ، وإن هذا الشعور بالإحباط له أسبابه القوية. تشير حسابات دائرة التوظيف إلى أن نسبة العاطلين عن العمل بين الشباب (16-24 سنة) المنحدرين من أصل باكستاني وبنغالي تصل إلى 37% ، وهي تعتبر أعلى نسبة بالمقارنة مع أي طائفة عرقية أخرى في بريطانيا.
ويقوم المسلمون في بريطانيا بحملة تهدف إلى إقناع الحكومة بسن قوانين هجرة أكثر إنصافاً ، وإلى توفير فرص عمل متكافئة ، كما يطالبون بتخصيص حصص دينية إسلامية خاصة في المدارس، وإلى الاعتراف بقوانين الشريعة الإسلامية في الزواج والميراث وإلحاقها بقانون الدولة ، وفي الحقيقة لقد بذل المسلمون في هذا المضمار جهوداً كبيرة لعدة سنوات، إلا أن الحكومة لم تلق لهم بالاً، حتى جاء رد الجالية المسلمة على كتاب رشدي عنيفاً جداً، وقد تكون هذه المسألة على ما تثيره من قلق، حافزاً لتحول اجتماعي أكثر عمقاً، يكون الإسلام هو نقطة ارتكازه..
يقول الدكتور (شابير أختر) وهو من المتخصصين في حقل تاريخ الأديان ، وكان قد حاز على تجربة في هذا المضمار من جامعة ألبيرتا في كندا ويقيم حالياً في برادفورد: "إن جوهر القضية هو أن الشباب الآسيويين وجدوا فجأة من يقتدون به في صفوف المسلمين الملتزمين ، ففيما مضى كان الاجتماعيون العلمانيون وزعماء التحرر هم الذين يتكلمون باسم الجالية الباكستانية ، أما الآن فإن ذلك قد تغير كلية ، فدعاة التحرر يريدون أن يجعلوا من قضية العرق وقضية المرأة والرجل عناصر بديلة عن الدين - في عملية سن القوانين".

لـقـد افـتـقــد مسلمو بريطانيا في الماضي أي شكل من أشكال المنظمات الوطنية أو الدينية، كالكنيسة الأنكليكانية أو الكاثوليكية، أو الـعــقـيـدة الـيـهـوديــة، أما الآن فإن المجالس الإسلامية آخذة بالتكون على الصعيدين الإقليمي والوطني ، وهذه المجــالس هي المسئولة عن تنظيم المظاهرات الكبرى التي تطوف شوارع المدن البريطانية ، كما أصبح عدد من قادة المسلمين يتمتعون بمكانة على الصعيد الوطني ، ولربما تحولت جهود هــؤلاء القادة فجأة إلى حركة واسعة النطاق.

مجلة الجمعية الجغرافية البريطانية ، كانون أول / 1989 م

خبر... وتعليق

1 - بمناسبة خروج الزعيم الأفريـقـي (نلسون مانديلا) من سجنه في دولة جنوب أفريقيا. سألت صحيفة (الشرق الأوسط) الكاتب فـهـمـي هـويدي عن رأيه فقال : "المسلمون هم أولى الناس فرحة بإطلاق سراح مناضل أفريقي كبير مـثـل مـانـديــلا ، وبكل خطوة تتخذ على صعيد تحقيق المساواة بين بني الإنسان".

تعليق :

لا شك أن المسلم يكره التمييز العنصري، ويحارب ما تمارسه دولة جنوب أفريقيا وأمثالها ويفرح لأي انتصار للحرية على الظلم ، ولكن السؤال الموجـه إلى الأستاذ هويدي : لماذا لم نر لك فرحاً بمجاهدة الأفغان للطغيان الشيوعي، ولماذا لا تـكـتـب عــن المجاهد عبد الله عزام أو الأبطال الذين جاهدوا الظلم والطغيان ولا يزال كثير مـنـهـم فـي الـسـجـون حـتى الآن؟!.

***

2 - تدفق اليهود السوفييت على إسرائيل وباتفــاق ومباركة من روسيا وأمريكا ، وشعرت إسرائيل بالقوة وأنها بحاجة إلى الأرض لتوطين هذا العدد الكبير من اليهود. وكان رد فعل الجانب العربي هو (تصاعد الانتقادات والاحتجاجات)!!.

وعقد ياسر عرفات اجتماعاً مع نـائـب وزيــر خارجية روسيا و (أبدى الجانب السوفييتي تفهمه) وفي نيويورك قال مندوب الجامعة العربية: إن الدول العربية تنظر بقلق شديد إلى موضوع الهجرة ، وأن العرب في الأمم المتحدة سيشكلون لجنة لمواجهة هذا الأمر!!

تعليق :

رجعت حليمة لعادتها القديمة، ورجعت مهازل الاحتجاجات والشكوى وتشكيل اللجان، ورجعت الكلمات السمجة المزرية (ننظر بقلق). ومن يهن يسهل الهوان عليه.

واحة البيان

مرض الروح

قيل للشعبي : تمرض الروح؟ قال : نعم من ظل الثقلاء ، قال بعض أصحابه: فمررت به يوماً بين ثقيلين ، فقلت كيف الروح؟ قال : في النزع.
وقيل للأعمش: مم عمشت عيناك؟ قال: من النظر إلى الثقلاء.

العمل

اغـلـب عــدوك بـالـعـمــل
لا بالـكــــلام الـمـرتـجـل
فـالـفـعـل يـبـنـي أمـــــة
أمــا الــكـــلام فـيـبـتـذل

محمد الأزهري

تغذية

أكدت دراسة طبية أمريكية أن استهلاك زيت الزيتون الذي يعتبر من أساسيات التغذية في حوض البحر المتوسط يخفض من نسبة الكولسترول والسكر في الدم.

حِكَم وطرائف

- ما دام الإنسان يجلس فلا يعرف إن كان أعرج أم لا.
- ما دام الإنسان ينام فلا يعرف إن كان أعور أم لا.
- ما دام الإنسان يصمت فلا يعرف إن كان كاذباً أو صادقًا.

قرأت أخيراً

- مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا.
- العثمانيون في التاريخ والحضارة للدكتور محمد حرب.
- برنامج عملي للمتفقهين للدكتور عبد العزيز القارئ.
- حوار هادئ مع الشيخ الغزالي.

الصفحة الأخيرة

ظلم ذوي القربى

عبد القادر حامد

أحد القراء من اليونان أرسل إلينا يشكو من محاربة بعض الإخوة المسلمين لمجلتنا (البيان) ويستغرب ذلك ويظهر ألمه وأسفه ، وجواباً على ذلك نقول للأخ الكريم :
الاستغراب معقول ومـفـهـوم، ولـكــن الألم والأسف لا ينبـغي أن يتطرق إلى النفس من هذا العمل. فنحن نعلم أنه منذ ظهور العدد الأول من مجلـة "البيان" لم يرق ذلك لبعض الذين يدعون تمثيل العمل الإسلامي ، وأنهـم ناصـبـوهـا العداء ، وتجنبوها بالتجاهل والتحذير الهامس، ولـم يـسـمـحـوا لهــا أن تـعـرض فـي واجهات مكتباتهم ونواديهم، مع أن هذه الواجهات لا تخلو من عرض الصحف والـمـجـلات الـتـي لا نقــول إنـهــا لا تمثل الفكر الإسلامي ، بل إن منها ما تخصص في تنقص المسلمين وحرب قضاياهم ، وتكبير خلافاتهم ، والتحامل عليهم. وإن الإنسان ليدركه العجب ، وتعروه الدهشة من كيل الـمـدائـح التي تكال لكثير من أعداء الإسلام المكشوفين من قبل أناس يتواصوا فيما بينهم من التحذير من مجلة البيان ومقاطعتها.
ولـكـن كــل ذلك لا يجوز بحال أن يثنينا عن مهمتنا التي نصبنا أنفسنا من أجلها ، فـإن الحق أبـلـج ، و (الشمس لا تغطى بغربال) ، وإننا نضع مثل هذه الأساليب في حرب منبر من منابر الدعوة في نصابه الصحيح ، فلا نقول مثلاً إن هذا تآمر من أعداء الإسلام علينا ، ولا أن الذين يحاربوننا بمقاطعة مجلتنا مندسون لتخريب العمل الإسلامي ، بل نقول: إن الذي يدفع إلى هذه الأعمال ضيق في الأفق ، وعصبـيـة حزبية ، وحسد مبعثه الكبر وغمط الناس من قبل إخوة كان من المتوقع أن يكونوا عوناً على كل كلمة صادقة وجهد جاد.
هذا مع أننا لا نستنكف عن عرض أي مـطـبـوعــة إسلامية تتبنى قضايا الإسلام والمسلمين ضمن إطار أهل السنة والجماعة ، وليس عندنا عقد تجــاه أي مجلة صدرت أو ستصدر ، وحالنا مع هؤلاء كقول الشاعر:

وإن الذي بيني وبـيــن بـنـي أبــي وبـيـن بـنـي عمي لـمـخـتلف جدا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومـهــم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القـديم علـيـهــم وليس كبير القوم من يحمل الحقدا

تمت بعون الله ، ولله الحمد
